محبة النبي ﷺ وتعظيمه

إعداد:

عبد الله بن صالح الخضيري

عبد اللطيف بن محمد الحسن

الطبعة الأولى

محرم ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

ح **مجلة البيان ١٤٢٦هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخضيري، عبد الله صالح

محبة النبي ﷺ وتعظيمه. / عبد الله صالح الخضيري؛ عبد اللطيف محمد الحسن ـ الرياض ، ١٤٢٦هـ

ص ٨٧؛ ١٧× ٢٤سم

ردمك: ٨ ـ ٤ ـ ٩٦٣٧ ـ ٩٩٦٠

١ ـ السيرة النبوية ٢ ـ الشمائل المحمدية أ. الحسن، عبد اللطيف محمد (مؤلف مشارك)

ب ـ العنوان

ديوي ٢٣٩,٦ ١٤٢٦/٦٩٤٦

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٦٩٤٦

ردمك: ٨ ـ ٤ ـ ٩٦٣٧ ـ ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على النبي المجتبى، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى، وبعد:

قارئي الحبيب:

هل رأيت مسلماً لايحب النبي ﷺ؟!

هل عرفت محباً لا يجود بالمهر، ولا يقوم بالخدمة؟!

وهل تستقيم محبة مع عصيان الحبيب والابتعاد عن طريقه؟!

أسئلة كثيرة تهم المحبين.. تأتيك هذه الرسالة للإجابة عليها، في جولة ماتعة مع شواهد القرآن الكريم، ودلائل سنة الحبيب العطرة، وحياة المحبين المرافقين للحبيب - رضي الله عنهم - طيلة حياته.

تأتي هذه الرسالة مشتملة على مبحثين لطيفين، لإرشاد المحب الصادق لنبيه ﷺ إلى حقيقة تلك المحبة ومعناها الكبير، ولبيان ما يجلبها، ويصححها، وينقيها، وينميها، ويثبتها. بالإضافة إلى إشارات تحذر مما يشوش على تلك المحبة، ويخدشها ويضعفها، وربما يسقطها ويجعلها مجرد دعوى عارية عن الدليل، خالية من البرهان، لو أقامها صاحبها أمام القاضي ما أعطاه بها بصلة!

هذا الكتيب تقدمه لك مجلة البيان برهاناً على محبتها لك، لأنك أحببت حبيبها ﷺ؛ من أجل أن نتعاون سوياً في تحقيق المحبة.

سائلين الله - تعالى - أن يجعلنا وإياك ممن صدقوا في محبة الله ورسوله، وقاموا بحقها، وحذروا خوارمها، فهداهم ربهم سبل السلام، وأورثهم الفردوس، هم فيها خالدون.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه والصادقين في محبته، إلى يوم يبعثون. والحمد لله رب العالمين.

مجلة البيان

الرسالة الأولى

دمعة على حب النبي ﷺ

نظرات متأملة للواقع في حب النبي ﷺ

عبد الله بن صالح الخضيري

قلِّب عينيك في الملكوت ترَ الجمال بديعاً، وافتح قلبك لأسرار هذا الجمال ترَ الحياة ربيعاً، وخُض في معترك الحياة تكن لك الحياة جميعاً، واجمعْ لي قلبك أجمعْ لك عقلي، وامنحني يدك فإني لأرجو أن أمنح لك حياةً هادئة سعيدة بإذن الله، وافتح صدرك أملأه دفئاً ومحبةً وصدقاً، كن معي لأكون لك وكما تحب.

وأعطني دمعةً تحيي بها قلبك، وتسلّي بها نفسك، فدموعنا مداد للفكر، وعبراتنا ثباتٌ على المبدأ، وبكاؤنا دوامٌ على النهج والمنهج، قلوبنا أهديناها بالحب إلى غير محب ففقدنا أعزَّ ما نملك، وإذا بنا نتحسس أماكنها وقد تَوَهَّمنا وجودها، إننا بحاجة إلى أن نحب ولكن لا نغلو، ونهوى ولكن لا نفرط، ونعشق ولكن بتعفف.

إن القلب هو الكنز الذي لا يقرؤه إلا من يملكه، وإن راحة الضمير أنوارٌ تتلألأ في الغَلَس، وينابيع متفجرة في الصحارى، وكنوز داخل البيوت المهجورة، كم من الوقت ضاع لأجل الحب وفي دوّامته؟ وكم من العقول ذهبت لأجل الحب وفي دائرته؟ ونغرق يومنا في أبجديات الحب!! فمحب يعيش بين الذكرى والنسيان، ومحب يتيه بين الوصل والحرمان، حبٌّ يُسعد في الاسم، ويُشقي في الرسم، جمالٌ في الصورة، وغموضٌ في الحقيقة.

الحب تاجٌ لكنه من حديد، وكنزٌ لكنه من تراب، ومعدنٌ لكنه من سراب، وأي حبٍ يُدَّعى فإنه ناقصٌ إذ العلاقات بين الآدميين بنيت على المصالح - في الغالب - وإن تنوعت صور الجمال أو تجمَّلت الصور. وإن لكل فؤادٍ نزعةَ حبٍّ عذريةً تفيضُ بعذبِ الهوى ونميره، ولو اطَّلع الناس على قلوب القساة لوجدوا

فيها أنهاراً متدفقة من الحب والرحمة، ولكنها تصب في أرض قيعان.

وإني أحمل راية بيضاء لبيض القلوب أن تتوجه بالحب إلىٰ أصدق الحب وأبقاه، وأبقىٰ البر وأوفاه إلىٰ. . . .

أشواقنا نحو الحجاز تطلّعت كحنين مغترب إلى الأوطانِ
إن الطيور وإن قصصتَ جناحها تسمو بهمَّتها إلى الطيرانِ

لن أقول: «كانت الحياة قبل البعثة ظلاماً»؛ إذ لا يجهل ذلك أحد، ولن أقول: «كان الظلم، ولم يكن غيره»؛ إذ لا أحد يشكُّ في ذلك، ولن أقول: «كان الحق للقوة»، و«كانت الحياة للرجل لا للمرأة»؛ إذ الناس أجمعوا علىٰ ذلك، ولكني أقول: مع البعثة وُلدت الحياة، وارتوىٰ الناس بعد الظمأ:

لمّا أطلَّ محمدٌ زكت الرُّبى واخضرَّ في البستان كل هشيم

وكان من المبشرات بميلاد الحياة ما صادف المولد النبوي من إهلاك أصحاب الفيل؛ فإنه بشرىٰ بإهلاك الطاغوت والطغاة، وولادةٌ لفجر العدالة والحياة، كما أن في إهلاكهم اجتماعاً لكلمة قريش وتوحدها، ولذا أنزل الله ـ تعالىٰ ـ بعد سورة الفيل سورة قريش، بياناً لسبب من أسباب إهلاك أصحاب الفيل وهو أنه لتأتلف قريش، ومن بعد ذلك كلّه ذكَّر قريشاً بنعمتين عظيمتين، أُولاهما: أن أطعمهم من جوع، وتمثَّل ذلك في رحلة الشتاء ورحلة الصيف، وثانيهما: أن آمنهم من خوف، وهنا كلمة «خوف» جاءت نكرة دالة علىٰ العموم، فيدخل في ذلك كلُّ خوفٍ ألمَّ بهم فأمنوا منه، كما في قصة أصحاب الفيل وأبرهة الأشرم، أو خوفٍ يحدث لهم بعد ذلك ظاهراً كبعثة محمد ﷺ، وإنما هو رحمةٌ وأمنٌ وأمان لهم ظاهراً وباطناً، حينما يظهره الله ـ تعالىٰ ـ كما أهلك الله أصحاب الفيل لكي تتعلق القلوب بربِّ البيت الذي أهلك البغاة، وكيف يكون شكرهم له.

وقاية الله أغنت عن مضاعفةٍ من الدروع وعن عالٍ من الأُطمِ

ومما كان ممهِّداً ومقدِّماً لدعوة الإيمان التي حملها محمد ﷺ: اجتماع النفوس على نصر المظلوم، وردِّ الفضول على أهلها، وبه سمي الحلف، وفيه انتصار للعدالة، وإنْ كان ذلك على نطاق ضيق لكن: «لا شك أن العدل قيمةٌ مطلقةٌ وليست نسبيةً، وأن الرسول ﷺ يظهر اعتزازه بالمشاركة في تعزيز مبدأ العدل قبل بعثته بعقدين؛ فالقيم الإيجابية تستحق الإشادة بها حتى لو صدرت من أهل الجاهلية»(١).

وقد قال النبي ﷺ عن ذلك الحلف: «شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه»(٢)، وسمَّاه: المطيبين؛ لأن العشائر التي عقدت حلف المطيبين هي التي عقدت حلف الفضول، وإنما كان حلف المطيبين قبل ميلاد محمد ﷺ بعد وفاة جده قصي(٣).

ومن ذلك ما روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان يوم بُعاث يوماً قَدَّمه الله لرسوله ﷺ، فَقَدِم رسول الله ﷺ وقد افترق مَلَؤُهم، وقُتلت سرواتهم، وجُرِّحوا، فقدَّمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم الإسلام»(٤).

هذا على العموم وفي الظاهر. أما ما كان ممهداً له ﷺ في ذاته فإن الخلوة والتعبد من أهم سمات العظماء(٥)، فإنه بعد ذلك ممتلئٌ بما فرّغ نفسه له؛ فقد

(١) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري: ١/ ١١٢.

(٢) أخرجه أحمد برقم ١٦٥٥، وصححه أحمد شاكر، كما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني فيه برقم ٤٤١ / ٥٦٧، وفي السلسلة الصحيحة برقم ١٩٠٠.

(٣) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري: ١/ ١١٢، وانظر تعليق أحمد شاكر على الحديث كما في المسند: ٣/ ١٢٠ مكتبة ابن تيمية.

(٤) البخاري، رقم ٣٧٧٧.

(٥) فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٢٦): «ولا بد للعبد من أوقات ينفرد فيها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذا يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، إما في بيته، كما قال طاووس: (نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيها بصره ولسانه)، وإما في غير بيته».

قالت عائشة - رضي الله عنها -: «كان رسول الله ﷺ يتحنث في غار حراء الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلىٰ أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ فجئه الحق وهو في غار حراء»(١).

ومما كان مطمئناً له ﷺ قبل نزول الوحي الرؤيا الصادقة؛ فكان لا يرىٰ رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح(٢).

ومع بشريته ﷺ وإعلانه بإعلان القرآن لذلك، إلا أنه ذكر من المعجزات والآيات ما كان آية علىٰ علو منزلته، ورفيع قدره؛ فقد حدَّث ﷺ: أن حجراً كان يُسلم عليه قبل النبوة(٣). فللَّه ما أعظم هذا القائد، وما أصدقه! فما عرفت مكة أميناً كأمانته ﷺ، فلما أظهره الله بالحق الذي معه لم يكن عندهم ظاهراً كذلك:

لقبتموه أمين القوم في صغر وما الأمين على قولٍ بمتَّهم

ولعلي أقف عند هذا الحد وأدخل فيما أردت من موضوع الحب لرسول ﷺ؛ فإن الحب أسمىٰ العلاقات، ولعله أرقها، وإنما يبعث علىٰ كتابة مثل هذا الموضوع قول الرسول الكريم ﷺ: «أنت مع من أحببت»(٤)، وأي سعادة تقارب تلك السعادة في الحب؟ وأي نجاح في النهاية يوازي ذلك الحب؟ يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «وإنما ينفع العبدَ الحبُّ لله لما يحبه الله من خلقه كالأنبياء والصالحين؛ لكون حبهم يقرب إلىٰ الله ومحبته، وهؤلاء هم الذين يستحقون محبة الله لهم»(٥).

وإذا تعلق قلب العبد بالله أحب كل ما يقرب إلىٰ الله ويزيده، ويبقىٰ أنه أشد حباً لله، فلا حب يوازي ذلك الحب، وإنما يحب بحب الله وله. قال ابن

(١، ٢) البخاري، رقم ٣، ومسلم، رقم ١٦٠، واللفظ له.
(٣) مسلم، رقم ٢٢٧٧.
(٤) البخاري، رقم ٦١٦٧، مسلم، رقم ٢٦٣٩.
(٥) الفتاوىٰ: ١٠/ ٦١٠.

تيمية: «فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النبي ﷺ والأنبياء قبله، والمرسلين وأصحابهم الصالحين، وتصورتهم في قلبك؛ فإن ذلك يجذب قلبك إلىٰ محبة الله المنعم عليهم، وبهم إذا كنت تحبهم لله؛ فالمحبوب لله يجذب إلىٰ محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصاً لله فإن الله هو محبوبه؛ فهو يحب أن يجذبه إلىٰ الله تعالىٰ، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلىٰ الله»(١).

وإن مما دعاني إلى كتابة هذه الأحرف ما أراه من تخلي القريب الأدنىٰ عن سيرة المصطفىٰ ﷺ وسنته، وتحليهم بما يؤسف له من رموز الفكر والأدب في جميع أحاديثهم، وإن هذا نكس ونقص في الفطرة والتعليم، وإلا فقد قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾ [**البقرة**: ٦١].

وما أراه من هجوم البعيد علىٰ سنة الكريم ﷺ وسيرته، مما تبثه وسائل الإعلام المختلفة تصريحاً وتلميحاً، ظاهراً وباطناً، والله المستعان.

«وإنه لنافع للمسلم أن يقدر محمداً بالشواهد والبينات التي يراها غير المسلم، فلا يسعه إلا أن يقدرها ويجري علىٰ مجراه فيها؛ لأن مسلماً يقدر محمداً علىٰ هذا النحو يحب محمداً مرتين: مرة بحكم دينه الذي لا يشاركه فيه غيره، ومرة بحكم الشمائل الإنسانية التي يشترك فيها جميع الناس»(٢).

وحسبي إن أنا خضت في هذا الموضوع أن أنال محبة القوم، وحسبي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن السوار ما أحاط بالمعصم:

---

(١) الفتاوىٰ: ١٠/٦٠٨.

(٢) مجموعة العبقريات، لعباس العقاد، ص ١٠.

أســـيـــرُ خـلف ركـــاب النُجْبِ ذا عـــرج مـــؤمـــلاً كـــشف مـــا لاقـــيت من عـــوج
فـــإن لحـــقتُ بهم من بـعـــد مـــا ســـبـــقـــوا فـكـم لـربٍّ الورى فـي ذاك مـن فـــــــرج
وإن بقـــيــت بظـهـــر الأرض منقطعـــاً فـــمـــا على عـــرج في ذاك من حـــرج

واسمح لي أن انتقل وإياك إلى جيل تعيش معهم الأمن والسكينة بعد أن ذقت من الدنيا خوفاً وهلعاً، ودعني أستل من قلبك خيطاً أبيض نلتمس به الصلة بيننا وبينهم، وأعرني دمعة تخفف بها الهوة بيننا وبين رسول الله ﷺ وتوقيره. قال صاحب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ: (ذكر عن مالك أنه سئل عن أيوب السختياني؟ فقال: «ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أوثق منه»[١] . وقال عنه مالك: «وحجّ حجتين، فكنت أرمقه، ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت، وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه»[٢] .

وقال مصعب بن عبد الله: «كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوماً في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليَّ ما ترون»، وذكر مالك عن محمد بن المنكدر - وكان سيد القراء -: «لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه»[٣]، ولقد كنت أرى جعفر ابن محمد - وكان كثير الدعابة والتبسم - فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفرَّ لونه، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صامتاً، وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله. وكان الحسن - رحمه الله - إذا ذكر حديث حنين الجذع وبكائه[٤] يقول: «يا معشر

(١) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٤.
(٢) المصدر السابق: ٦/ ١٧.
(٣) حلية الأولياء: ٣/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٥٤، ٣٥٥.
(٤) البخاري، رقم ٣٥٨٤.

المسلمين، الخشبة تحن إلىٰ رسـول الله ﷺ شوقاً إلىٰ لقائه؛ فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه»[١].

وكان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فينظر إلىٰ لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكىٰ حتىٰ لا يبقىٰ في عينيه دموع:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عيناً لغيرك دمعها مدرارُ

ولقد رأيت الزهري ـ وكان لَمِنْ أهنأ الناس وأقربهم ـ فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته.

ولقد كنت آتي صفوان بن سليم، وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي ﷺ بكىٰ، فلا يزال يبكي حتىٰ يقوم الناس عنه ويتركوه)[٢].

وقال عمرو بن ميمون: «اختلفت إلىٰ ابن مسعود سنة فما سمعته يقول: قال رسول الله ﷺ، إلا أنه حدّث يوماً فجرىٰ علىٰ لسانه: قال رسول الله ﷺ، ثم علاه كربٌ، حتىٰ رأيت العرق يتحدّر عن جبهته، ثم قال: هكذا إن شاء الله، أو فوق ذا، أو ما دون ذا، ثم انتفخت أوداجه، وتربّد وجهه وتغرغرت عيناه»[٣].

وبلغ معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه برسول الله ﷺ، فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقّاه وقبّل بين عينيه، وأقطعه المِرغاب، لشبهه صورة رسول الله ﷺ[٤].

وإني سائل بعد تلك الصور المتحدثة: أين نحن من سيرتهم؟ وأين حالنا من

(١) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٧٠، وجامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ص ٥٧٢، مكتبة ابن تيمية.
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ﷺ، للقاضي عياض، ص ٥٩٨، بتصرف وإحالة.
(٣) المصدر السابق: ٢/ ٥٩٩.
(٤) المصدر السابق: ٢/ ٦١٠.

حالهم؟ وما أثر الحب عندنا؟ وما أثره عندهم؟ بل وما صدق ما ندَّعي؟ وما صدق ما لم يدَّعوه؟ وأين حقيقة ما ندَّعي؟ وما دلائل المحبة عندهم؟

لقد قام في قلوبهم ما قصرت هممنا عن أن تقوم بأقله، وأحيوا في شعورهم ما ماتت مشاعرنا دونه، وتعلقت أبصارهم فيما وراء الطرف، في حين لم تتجاوز أبصارنا أطرافنا، ألا رجل لم تقعد به همته ولم يتأخر به عمله؟! ألا صادق يترجم المحبة قولاً وعملاً وغيرة؟! ألا فارس لا يرجع إلا بإحدىٰ الحسنيين؟!

أيها المُحبُّون: لقد تباعد بنا الزمن، واستنسرت الفتن، واشتغل الأكثرون بالحطام من المهن، غاب عنا الحب وإن ادعيناه، ونسينا الواجبات فكانت من أحاديث الذكريات، نتحدث عن السنة النبوية والهدي النبوي لكن لا ترىٰ جاداً في الاتباع، ولا صادقاً في الكلام - إلا قليلاً -:

وكلٌّ يدَّعي وصلاً بليلى وليلى لا تُقر لهم بذاكا

مظاهر الجفاء مع النبي ﷺ:

ولمزيد من التوضيح فلنعرض أنفسنا علىٰ السنة المطهرة، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم، ولنعرض بعض المظاهر التي أحسبُ أنها كافية في إيضاح الجفاء الذي اتصف به بعضنا مع رسول الله ﷺ وسنته، لعل الله أن يزيد المهتدي هدىٰ، وأن يبدل الجافي إلفاً، والبعيد قرباً، والغالي قصداً.

١ ـ البعد عن السنَّة باطناً وظاهراً:

يأتي في أول تلك المظاهر البعد عن السنَّة باطناً؛ وذلك بتحول العبادات إلىٰ عادات ونسيان احتساب الأجر من الله، أو ترك متابعة الرسول ﷺ وتعظيمه، والمحبة القلبية الخالصة له، ونسيان السنن وعدم تعلمها، أو البحث عنها، وعدم توقير السنة، والاستخفاف بها باطناً.

ومن ذلك أيضاً: البعد عن السنَّة ظاهراً؛ وذلك بترك العمل بالسنن الظاهرة الواجب منها والمندوب، وعلىٰ سبيل المثال سنن الاعتقاد ومجانبة البدعة وأهلها بل وهجرهم، أو السنن المؤكدة مثل: سنن الأكل، واللباس، أو الرواتب، أو الوتر،

أو ركعتي الضحىٰ، وسنن المناسك في الحج والعمرة، والسنن المتعلقة بالصوم في الزمان والمكان، فصارت السنَّة عند بعض الناس كالفضلة ـ والله المستعان ـ.

ولعمر الله لا يستقيم قلب العبد حقيقة حتىٰ يعظِّم السنَّة ويحتاط لها، ويعمل بها. هذا وقد قال رسول الله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» كما في الصحيحين[1]، وكان كلامه هذا ﷺ في أمر الزواج وأكل اللحم ونحوهما.

وقد قال أُبَيُّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: «عليكم بالسبيل والسنَّة؛ فإنه ما من عبد علىٰ السبيل والسنَّة ذكر الله فاقشعر جلده من مخافة الله إلا تحاتَّت عنه خطاياه كما يتحاتُّ الورق اليابس عن الشجرة، وما من عبد علىٰ السبيل والسنَّة ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبداً، وإنَّ اقتصاداً في سبيل وسنَّة خير من اجتهاد فيما خلاف سبيل وسنَّة، فاحرصوا أن تكون أعمالكم اقتصاداً واجتهاداً علىٰ منهاج الأنبياء وسنَّتهم»[2].

٢ ـ ردُّ الأحاديث الصحيحة:

ومما يلاحظ من الجفاء رد بعض الأحاديث الصحيحة الثابتة بأدنىٰ حجة من الحجج، كمخالفة العقل أو عدم تمشيها مع الواقع، أو عدم إمكان العمل بها، أو المكابرة في قبول الأحاديث، وتأويل النصوص وحرفها لأجل ذلك، أو رد الأحاديث الصحيحة باعتبار أنها آحاد، ـ وأغلب أحكام الشريعة إنما جاءت من طريق الآحاد ـ، أو دعوىٰ العمل بالقرآن وحده، وترك ما سوىٰ ذلك، وقد قال ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئاً علىٰ أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري؛ ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[3].

(١) البخاري، رقم ٥٠٦٣، ومسلم، رقم ١٤٠١.
(٢) أبو نعيم في الحلية: ١/ ٢٥٣، وابن الجوزي في تلبيس إبليس، ص ١٦.
(٣) الترمذي، رقم ٢٨٠٠، وأبو داود، رقم ٤٦٠٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، رقم ٣٨٤٩.

وإن زعموا ما زعموا من وجوب وحدة المسلمين على القرآن وحده؛ فإن الله ـ تعالى ـ أوجب في القرآن الأخذ عن الرسول ﷺ كل ما أتى به جملة وتفصيلاً فقال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [**الحشر**: ٧]. وقد ذكر الله ـ تعالى ـ طاعة الرسول ﷺ في القرآن في ثلاث وثلاثين موضعاً، وقد قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»(١).

قال الحميدي: «كنا عند الشافعي ـ رحمه الله ـ فأتاه رجل، فسأله في مسألة؟ فقال: قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟! فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة! تراني في بيعة! ترى على وسطي زنَّاراً؟! أقول لك: قضى فيها رسول الله ﷺ وأنت تقول: ما تقول أنت؟!»(٢). وقال مالك: «أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله؟!»(٣).

ويقول ـ رحمه الله ـ: «سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذُ بها تصديقٌ لكتاب الله ـ عز وجل ـ واستكمالٌ لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»(٤).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ومن الأدب معه ألا يُستشكَل قوله، بل تُستشكَل الآراء لقوله، ولا يُعارَض نصه بقياس، بل تُهدَر الأقيسة وتلقى لنصوصه، ولا يُحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً، ـ نعم! هو مجهول، وعن الصواب معزول ـ، ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد.

(١) أبو داود، رقم ٤٦٠٤، صححه الألباني في صحيح أبي داود، رقم ٣٨٤٨.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٣٤، وحلية الأولياء: ٩/ ١٠٦.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٩٩، وشرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، ص ٥.
(٤) شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، ص ٧.

فكان هذا من قلة الأدب معه ﷺ، بل هو عين الجرأة»[١].

دعــوا كل قــولٍ عند قــول مــحــمــدٍ فــمــا آمنٌ في دينه كــمــخــاطر

٣ ـ العدول عن سيرته ﷺ وسنته:

وفي عصر الإعلام يتجلى الجفاء في العدول عن سيرته ﷺ وسنَّته وواقعه وأعماله إلى رموز آخرين من عظماء الشرق والغرب ـ كما يسمون ـ، سواء كانوا في القيادة والسياسة، أو في الفكر والفلسفة، أو في الأدب والأخلاق. والأدهى من ذلك مقارنة أقوال هؤلاء ومقاربتها لأقوال النبي ﷺ وأحواله، وعرضها للعموم والعامة؛ وتلك مصيبة تهوِّن على العوام التجني على سيرة المصطفى ﷺ وسنَّته، وتثير الشكوك في أقواله وأعماله التشريعية ﷺ والتي هي محض وحي: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]. لكن بعض الأذهان لا تتعلق إلا بالواقع المشاهد، واللحظة المعاصرة، فينبهرون بأولئك، وينسون العظمة التي عاشها النبي ﷺ للأحياء وللأموات، للحاضر وللمستقبل، بل للحياة وللموت.

أتطلبــون من المختــار مــعــجــزة يكفــيــه شــعبٌ من الأجــداث أحــيــاهُ

وقد سمَّى الله الكفر قبل الإيمان موتاً، والإيمان حياة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ...﴾[الأنعام: ١٢٢].

أخــوك عــيــسى دعــا مَــيْــتــاً فــقــام له وأنت أحــيــيــت أجــيــالاً من العــدم

وأعماله ﷺ ما زالت وستظل قائمة بأعيانها متحدثة بعنوانها عن عظيم وعظمة وحياة، ولا تحتاج إلى دليل وبيان:

ولــيــس يــصــح فــي الأذهــان شــيء إذا احــتــاج الــنــهــار إلى دليل

ويلحق بذلك: تقديم أقوالهم على أقواله ﷺ، وأحوالهم على أحواله، وأعمالهم على أعماله، ويا للأسف! من يقوم بمثل تلك الأعمال؟ إنهم رجال العفن وفئة من أهل الصحافة وبعض ساسة الإعلام والتعليم ممن تسوَّدوا بغير

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٤٠٦.

سيادة، وقادوا بغير قيادة!!

٤ ـ نزع هيبة الكلام حين الحديث عن النبي ﷺ :

وفي مجالسنا ومنتدياتنا يلاحظ المتأمل منا جفاءً روحانياً يتضح في نزع هيبة الكلام حين الحديث عن النبي ﷺ وكأنها حديث عابر، أو سيرة شاعر، أو قصة سائر، فلا أدب في الكلام، ولا توقير للحديث، ولا استشعار لهيبة الجلال النبوي، ولا ذوق للأدب النوراني القدسي، فلا مبالاة، ولا اهتمام، ولا توقير، ولا احترام، وقد قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ** ﴾ [**الحجرات**: ٢]. هذا أيها الناس هو الأدب الرباني؛ فأين الأدب الإنساني قبل الأدب الإسلامي؟

كما نهىٰ الله قوماً كانوا ينادونه باسمه: (يا محمد) كما ذكره كثير من المفسرين، فيسلب المنادي الشرف الذي تميز به رسول الله ﷺ وهو النبوة والرسالة، وهذا ليس علىٰ إطلاقه، لكنه أدب فتأمله.

«كان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكوت؛ فلا يتحدث أحد، ولا يُبرىٰ قلم، ولا يبتسم أحد، ولا يقوم أحد قائماً، كأن علىٰ رؤوسهم الطير، أو كأنهم في صلاة؛ فإذا رأىٰ أحداً منهم تبسم أو تحدث لبس نعله وخرج»(١). ولعله بذلك يتأول الآيات الثلاث في أول سورة الحجرات؛ كما تأولها حماد بن زيد بهذا المعنىٰ(٢).

«وكان مالك ـ رحمه الله ـ أشد تعظيماً لحديث رسول الله ﷺ، فكان إذا جلس للفقه جلس كيف كان، وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً وتعمّم وقعد علىٰ منصته بخشوع وخضوع ووقار، ويبخر المجلس من أوله إلىٰ فراغه تعظيماً للحديث»(٣).

(١) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٢٠١.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٧/ ٤٦٠.
(٣) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ١٩٦، والشفا لعياض: ٢/ ٦٠١.

ولذا حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على تعليم الناس تعظيم النبي ﷺ ميتاً كتعظيمه حياً، وذلك من تمام وفائه للنبي ﷺ. روى البخاري ـ رحمه الله ـ عن السائب بن يزيد، قال: «كنت نائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فائتني بهذين فجئته بهما، قال: من أنتما؟ ـ أو: من أين أنتما؟ ـ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ!!»(١).

٥ ـ هجر أهل السنة أو اغتيابهم والاستهزاء بهم:

ويلحق بالجفاء: جفاء القلوب والأعمال تجاه من خدموا السنة، ويتمثل ذلك في هجر أهل السنة والأثر العاملين بها، أو اغتيابهم ولمزهم والاستهزاء بهم واستنقاص أقدارهم، وانتقادهم وعيبهم على التزامهم بالسنن ظاهراً وباطناً.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وتصور حالة الغربة والغرباء تجد قلتهم في هذا الزمن وغيره، وقد سبقنا إلى تصويرها ابن القيم حين قال:

وأي اغتراب فوق غربتنا التي لها أضحت الأعداء فينا تَحَكَّم

ولكننا سبي العدو؛ فهل تُرى نعود إلى أوطاننا ونسلم

وفي وصف أهل السنة والأثر يقول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(٢).

وعيرني الواشون أني أحبها وتلك شكاةٌ ظاهر عنك عارها

وهذا أحد السلف وهو الجنيد بن محمد يقول: «الطرق إلى الله ـ تعالى ـ كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته؛ فإن

---

(١) البخاري، رقم ٤٧٠.

(٢) البخاري، رقم ٣٦٤١، ومسلم، رقم ١٠٣٧.

طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه. كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١]»[1].

أما من لم يدرك السنة والعمل بها فلا همّ له إلا الكلام والملام.

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا

وفي الحقيقة أن من تكلم فيهم لا يضر إلا نفسه:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يُضِرْها، وأوهى قرنَه الوعلُ

ولعل هذا أيضاً مما ينشر السنن بين الناس:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت؛ أتاح لها لسان حسود

٦ ـ هجر السنن المكانية:

ومن صور الجفاء الممض الذي طبقه الكثيرون ـ من غير استشعار للجفاء ـ: هجر السنن المكانية، وشواهد هذا الجفاء في حياتنا كثيرة؛ فترىٰ من الناس من يحج كل عام ويعتمر في السنة أكثر من مرة، ومع ذلك تمر عليه سنوات كثيرة لم يعرِّج فيها علىٰ المدينة النبوية إلا أقل من أصابع اليد الواحدة، وقد يعتب بعضهم علىٰ أهل الآفاق أو الوافدين الذين لا يقدمون الديار المقدسة في العمر إلا مرة، ويأتون المدينة فيصلون فيها ويغتنمون أوقاتهم، وترىٰ من أولئك الآفاقيين حرصاً لا تكاد تجد بعضه عند سكان الجزيرة، بل يعتصر الإنسان أسىٰ علىٰ أننا في هذه الديار وقلَّ منْ يهتم بالزيارة، وقد يزورها لكن علىٰ عجل وخوف من فوات مصالح يظنها كذلك، وإن زارها فلا اهتمام بالسنن والشعائر، وهذا لعله من النسيان والانشغال بغير السنن والبعد عن قراءة السيرة النبوية؛ فإن الإنسان بحمد الله يجد من الأمن والأنس والطمأنينة القلبية في المدينة النبوية ما لا يجده في غيرها إلا مكة:

(١) أبو نعيم في الحلية: ١٠/ ٢٥٧، وابن الجوزي في تلبيس إبليس، ص ١٩.

ويا حـــبـــهـــا زدني جـــوىً كل ليلة ويا سلوة الأيام مـــوعـــدكِ الحـــشـــرُ
وصلـتكِ حـــتى قـــيـل: لا يعـــرف القِلى وزرتكِ حـــتـى قـــيل: ليس له صـــبـــرُ
وإنـي لتـــعـــروني لـذكـــراكِ هـزة كـمـا انتـفض العـصـفـورُ بلَّله القَطرُ
هل الـوجـــــــد إلا أن قلـبي لـو دنا من الجـمـر قيـد الرمح لاحـتـرق الجـمـرُ

«وجديرٌ لِمَواطن عُـمِّرت بالوحي والتنزيـل، وتردَّد بهـا جبـريل ومـيكائيل، وعـرجـت منهـا الملائكة والروح، وضـجـت عـرصـاتـهـا بالتـقـديس والتـسـبـيح، واشـتـملت تربتـهـا علىٰ جسـد سيـد البـشـر ﷺ، وانتـشـر عنهـا مـن دين الله وسنَّة رسـول الله ﷺ مـدارس آيات، ومـسـاجـد، وصلوات، ومـشـاهـد الفـضـائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومواقف سيد المرسلين ﷺ، ومتبوَّأ خاتم النبيين ﷺ»[1] أن يُعتنىٰ بها، وأن تحل في القلوب وتخالط بشاشتها، وأن يكون في زيارتها ما يحدو إلىٰ اتباع السنَّة وتعظيم نبي الأمة ﷺ.

* ومن السنن في المدينة: الصلاة في المسجد النبوي، وهي صلاة مضـاعفة، كما قال ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[2].

* ومن السنن المكانية: الصلاة في مسجد قباء، وقد قال النبي ﷺ فيما رواه أُسيد بن ظُهير: «صلاة في مسجد قباء كعمرة»[3].

وعن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت: سمعت أبي يقول: «لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحبُّ إليَّ من أن آتي بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما

(١) الشفا لعياض: ٢/ ٦٢٢.
(٢) البخاري، رقم ١١٩، ومسلم، رقم ١٣٩٤.
(٣) الترمذي، رقم ٣٢٣، وابن ماجه، رقم ١٤١٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم ٢٦٧.

في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل». قال الحافظ في الفتح: «إسناده صحيح»(١).

وهو محمول على إرادة سعد ـ رضي الله عنه ـ الترغيب في زيارته، لا على جواز شد الرحال إليه؛ فقد قال ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، ومسجد الأقصى»(٢). «فيستحب السفر إلى مسجده»(٣).

* ومما نسي في المدينة من السنن المكانية: الصلاة في الروضة الشريفة، وهي من رياض الجنة التي ينبغي التنعم فيها والاعتناء بها؛ إذ هي من أماكن نزول الرحمة وحصول السعادة وأسبابها(٤). وقد بين ذلك ﷺ بقوله: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»(٥).

قال ابن حجر ـ بعد أن ذكر الأقوال في المراد بمعنى الروضة ـ: «والخبر مسوق لمزيد شرف تلك البقعة على غيرها»(٦).

ولكن المحروم من حُرم الخير وصدف عن طريقه:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد ... سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحاً
إنا أقمنا على عذر وعن قدر ... ومن أقام على عذر فقد راحا

* ويلحق بزيارة المدينة النبوية زيارة قبر النبي ﷺ والسلام عليه وعلى صاحبيه، رضي الله عنهما. وهل يُسلِّم على النبي ﷺ كلما دخل المسجد(٧) ممن

(١) لمزيد من البحث في هذا الحديث وأسانيده وطرقه. انظر: أخبار المدينة النبوية لابن شبة، تعليق الشيخ عبد الله الدويش، ١/ ٤٣ ـ ٤٥. وانظر الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعاً ودراسة/ صالح الرفاعي ـ رسالة دكتوراه، طبعة مجمع الملك فهد، ص ٥٣٤، ٥٣٦. وانظر تعليق ابن باز على فتح الباري: ٣/ ٨٩ ـ ٨٥.
(٢) البخاري، رقم ١١٨٩، ومسلم، رقم ١٣٩٧، واللفظ له.
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١/ ٢٣٤.
(٤) انظر فتح الباري: ٤/ ١٢٥، مدارج السالكين لابن القيم، ٣/ ٢٦٠.
(٥) البخاري، رقم ١١٩٦، ومسلم، رقم ١٣٩١، وانظر فتح الباري: ٣/ ٩٠.
(٦) فتح الباري، ١١/ ٥٨٠.
(٧) وهو غير الدعاء عند دخول المسجد.

كان من أهل الآفاق؟ مسألة فيها خلاف[١]؛ لكن شرف الزيارة والسلام والصلاة مما أجمع عليها المسلمون، وأن يزور قبور البقيع من الصحابة، وقبور الشهداء، وقبر حمزة ـ رضي الله عنهم ـ؛ لأن النبي ﷺ كان يزورهم ويدعو لهم، ولعموم الأحاديث في زيارة القبور[٢]؛ وأن يدعو لهم، وأن يستشعر فضائلهم، ومناقبهم، وجهادهم، وأن يلين قلبه ويتذكر الآخرة لعل الله أن ينصر به دينه كما نصره بهم، وأن يجمعه بهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، والله المستعان[٣].

والسنن المكانية لا تختص بالمدينة فقط، بل في غيرها، مثل مكة كالصلاة داخل «الحِجْر» لأنه من الكعبة، أو خلف المقام، أو ما يتعلق بالبقعة في غيرهما من الأرض مما هو مشروعٌ التعبد فيه مكاناً.

٧ ـ عدم معرفة خصائص النبي ﷺ ومعجزاته:

ومن الجفاء مع النبي ﷺ علمياً وتربوياً عدم معرفة الخصائص والمعجزات التي خص الله بها نبيه محمداً ﷺ، وهذا مما ينبغي أن يتفطن له المتعلمون قبل غيرهم، وينبغي مراعاة الفروق بين الخصائص والشمائل والمعجزات

(١) قال مالك ـ رحمه الله ـ: «وليس يلزم من دخل المسجد وخرج من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء. . .»، قال أبو الوليد الباجي: ففرق بين أهل المدينة والغرباء؛ لأن الغرباء قصدوا لذلك، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم ـ وهذا على أن السفر ليس لأجله أصلاً ـ وهنا يلاحظ أن الزيارة في أوقات الزحام ليست بلازمة. الفتاوىٰ (١/ ٢٣١)، وانظر التحقيق والإيضاح لابن باز.

(٢) التحقيق والإيضاح لابن باز، الجزء الخامس، قسم الحج والعمرة: ١/ ٢٩٧.

(٣) ومما ينبغي ذكره قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن زيارة القبور علىٰ وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية؛ فالزيارة الشرعية يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة علىٰ أحدهم إذا مات فيصلىٰ عليه صلاة الجنازة، فهذه الزيارة الشرعية.
والثاني: أن يزورها كزيارة المشركين وأهل البدع لدعاء الموتىٰ وطلب الحاجات منهم، أو لاعتقاده أن الدعاء عند قبر أحدهم أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت، أو أن الإقسام بهم علىٰ الله وسؤاله ـ سبحانه ـ بهم أمر مشروع يقتضي إجابة الدعاء، فمثل هذه الزيارة بدعة منهي عنها». الفتاوىٰ: ١/ ٢٣٦.

والكرامات، وأن الكرامات هي ما يبارك الله في أصله مثل تكثير الطعام والاستسقاء، أو ما يُحدثه الله ـ عز وجل ـ من الخوارق التي يعجز عنها الإنس والجن؛ فيهيئها الله لعباده من غير قاعدة سابقة(١)، ولا تكون الكرامات إلا لمن استقام ظاهراً وباطناً على الطريق المستقيم، وقد تجري لغيرهم لكن ليس على الدوام. أما المعجزات فلا تكون إلا للأنبياء للاستدلال بها والتحدي، وهي على الدوام على بابها في التعجيز، وليست من جنس الخوارق(٢). وأما الخصائص فهي الأحكام التي خص الله بها نبيه ﷺ مثل الجمع بين أكثر من أربع زوجات، والقتال في الحرم المكي. والشمائل هي: الأخلاق الكريمة التي كانت محور حياة النبي ﷺ كالعفو والصفح والرحمة ولين الجانب.

٨ ـ الابتداع في الدين:

ويزدادُ الجفاءُ سوءاً حين يبتعد المرء عن الجادة والشرع إلى سلوك الابتداع في الدين ومشابهة حالة المخلِّطين من تعظيم مشايخ الطرق ورفعهم فوق منزلة الأنبياء بما معهم من الأحوال الشيطانية والخوارق الوهمية، أو الغلو في الأولياء الذين يُظَن أنهم كذلك، وإطراؤهم في حياتهم وتقديسهم بعد مماتهم، ودعاؤهم من دون الله، والنذر لهم وذبح القرابين باسْمِهم، والطواف حول قبورهم أو البناء عليها، وهذا هو الشرك الذي بُعِثَ النبي ﷺ لإزالته وهدمه وإقامة صرح التوحيد مكانه في الأرض وفي القلوب، فأقام الله دينه، ونصر عبده، وأعز جنده المؤمنين، وأقرَّ الله أعينهم بإزالة علائم الشرك وأوثان الجاهلية حين كان النبي ﷺ يطعنها ويحطمها بيده وهو يقول: ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [**الإسراء**: ٨١]، ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** ﴾ [**سبأ**: ٤٩](٣).

---

(١) انظر مجموع الفتاوىٰ: ١١/ ٣١١، وشرح العقيدة الطحاوية، تحقيق التركي والأرناؤوط: ٢/ ٧٤٦.

(٢) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، ص ٥٩ فما بعدها.

(٣) البخاري، رقم ٤٢٨٧، مسلم، رقم ١٧٨١.

وقد قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ولا يخفىٰ علىٰ عاقل مهتد عقله بنور الشريعة أن الطواف حول القبور والأضرحة، والعكوف عندها وسؤال الموتىٰ قضاء الحاجات، وشفاء المرضىٰ، أو سؤال الله بهم، أو بجاههم مما أُحدِثَ في الدين، وأن الطواف الشرعي لا يكون إلا حول الكعبة، وأن النفع والضر والشفاعة لله وحده، كما في القرآن والسنَّة والإجماع، وقد أبلغ ﷺ الوحي الذي نزل عليه من السماء ـ كما ورد في سورة الجن ـ مستجيباً لما أُمِرَ به: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ...﴾ [الجن: ٢١ – ٢٣]؛ وهو من هو ﷺ؛ فكيف بغيره؟!! وهذا هو الفرقان الذي يتميز به أهل الإيمان عن غيرهم، فكل من صرف تعظيماً للمخلوقين فإنما ينتقص من عِظَمِ الخالق تبارك وتعالىٰ، وكل تذلل للمخلوقين فهو ضعف وجهل، وهذا باب من الذل لا يخفىٰ.

٩ ـ الغلو في النبي ﷺ:

ومن الجفاء ـ الذي يؤذي النبي ﷺ ويخالف هديه ودعوته، بل يخالف الأصل الذي أرسله الله به وهو التوحيد ـ: الغلو في النبي ﷺ ورفعه فوق منزلة النبوة وإشراكه في علم الغيب، أو سؤاله من دون الله، أو الإقسام به، وقد خاف النبي ﷺ وقوع ذلك فقال ـ في مرض موته ـ: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله»(١).

ومعلوم أن النصارىٰ تعبد مع الله عيسىٰ ويسمونه: (الابن)، تعالىٰ الله عما يقولون علواً كبيراً. ودعاء النبي ﷺ من دون الله عبادة له، والعبادة لا تصرف إلا لله وحده، وكذلك حذر النبي ﷺ أن يُتخذ قبره عيداً ومزاراً؛ حيث قال:

(١) البخاري، رقم ٣٤٤٥.

«لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»(١).

ويبلغ الحد في التنفير من الغلو في ذاته ﷺ أن لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فقال ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٢)، يُحذِّر ما صنعوا.

ولما همَّت طائفة من الناس بالغلو فيه فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا. قال لهم ﷺ: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان»(٣).

ومن الغلو فيه ﷺ: الحلف والإقسام به؛ فإنه من التعظيم الذي لا يصرف إلا لله وحده، وقد قال ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»(٤).

ومجموع الأحاديث في هذا الباب ميزان عدل لا ينبغي الزيادة عليها ولا النقص منها، وكل متجرد للحق يجد بغيته في تلك النصوص، والله وحده هو الموفق.

١٠ ـ ترك الصلاة عليه ﷺ:

ومن الجفاء أيضاً ترك الصلاة عليه ﷺ لفظاً أو خطّاً ـ إذا مرّ ذكره ـ وهذا قد يحدث في بعض مجالسنا؛ فلا تسمع مصلياً عليه ﷺ فضلاً عن أن تسمع مذكِّراً بالصلاة والسلام عليه، وهذا علىٰ حد سواء في المجتمعات والأفراد. وأي بخل أقسىٰ من هذا البخل؟ وبهذا الجفاء يقع الإنسان في أمورٍ لا تنفعه في آخرته ولا في دنياه، ومنها:

١ ـ دعاء النبي ﷺ بقوله: «رَغِمَ أنفُ رجل ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ»(٥).

---

(١) أبو داود بإسناد صحيح، رقم ٢٠٤٢، وصححه الألباني في غاية المرام ١٢٥.
(٢) البخاري، رقم ١٣٣٠، مسلم، رقم ٥٢٩.
(٣) صححه الألباني في غاية المرام ١٢٧، وانظر تخريجه فيه.
(٤) البخاري، رقم ٢٦٧٩، ومسلم، رقم ١٦٤٦.
(٥) رواه الترمذي، رقم ٣٥٤٥، وأحمد ٢/ ٢٥٤، وصححه الألباني في الإرواء: ٦.

٢ ـ إدراك صفـة البُخل التي أطلقهـا النبي ﷺ، حين قـال: «البخـيل: من ذُكِرت عنده فلم يصلِّ عليَّ»(١).

٣ ـ فوات الصلاة المضاعفة من الله عليه: إذا لم يصلِّ على النبي ﷺ وآله وسلم؛ فقد قال ﷺ: «من صلىٰ عليّ صلاة صلىٰ الله عليه بها عشراً»(٢).

٤ ـ ومنها فوات الصلاة من الله والملائكة لتركه الذكر النبوي، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾.

[**الأحزاب**: ٤٣].

(فهذه الصلاة منه ـ تبارك وتعالىٰ ـ ومن الملائكة، إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلىٰ النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ وملائكته وأُخرجوا من الظلمات إلىٰ النور، فأي خير لم يحصل لهم؟!! وأي شر لم يندفع عنهم؟! فيا حسرة الغافلين عن ربهم! ماذا حُرموا من خيره وفضله؟ وبالله التوفيق)(٣). كما أن في تركها وحشة القلب وفزعه لبعده عن الذكر؛ إذ كلما أكثر المرء من الذكر ازدادت الطمأنينة في قلبه، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [**الرعد**: ٢٨].

٥ ـ فوات أثر الصلاة علىٰ النبي ﷺ علىٰ من لم يصلِّ عليه، كتفريج الهموم وغفران الذنوب.

وفي حكم الصلاة علىٰ النبي ﷺ عند ذكره خلاف ليس هذا مكان بسطه(٤)، لكن من كان أحب إليك من نفسك وأهلك ومالك فكيف أنت عند ذكره؟ أو

(١) الترمذي، رقم ٣٥٤٦، وأحمد: ١/ ٢٠١، وصححه الألباني في الإرواء: ٥.
(٢) مسلم، رقم ٢٨٤.
(٣) صحيح الوابل الصيب، ابن القيم، ص ١٣٤، تحقيق سليم الهلالي.
(٤) انظر الخلاف في هذه المسألة في (جلاء الأفهام)، لابن القيم ص٥٤٠ ـ٥٥٨، تحقيق مشهور بن حسن سلمان.

كيف أنت في الثناء عليه؟ والدعاء له؟

خيالك في ذهني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي؛ فأين تغيب؟

ورحم الله الشافعي؛ إذ يقول: «يُكرَه للرجل أن يقول: قال رسول الله، ولكن يقول: رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم؛ تعظيماً لرسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم»(١).

١١ - عدم معرفة قدر الصحابة:

ومن الجفاء ما يتقمصه الكثيرون علىٰ اختلاف في النيات، وتنوع في صور الجفاء يجمعها عدم معرفة قدر الصحابة ومنازلهم وفضائلهم وهم الجيل الأغر، حظ النبي ﷺ من الأجيال، وهو حظهم من الأنبياء، لهم شرف الصحبة كما لهم نور الرؤية، ولذا تزخر كتب السنة المطهرة بأحاديث الفضائل والتعديل للأفراد وللعموم، للمهاجرين والأنصار، وما حظنا منها إلا الفخر بذلك الجيل الأشم، وفي آيات التنزيل الثناء والتفضيل، ومنها قوله - تعالىٰ -: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾ [التوبة: ١١٧]، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [**الفتح**: ١٠]، وفي آية أخرىٰ يقول - تعالىٰ -: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [**الأحزاب**: ٢٣].

وكيف بمن ترك ماله وولده بل خاطر بنفسه ليهاجر الهجرتين إلىٰ الحبشة أو يهاجر إلىٰ المدينة مخلِّفاً حياة العز الظاهر في مكة؟ أَيُشَكُّ بعدُ في إيمانه وصدقه وإخلاصه؟

---

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام، ص٢٥٥.

وقد ألمح الله - تعالىٰ - إلىٰ من خالف جماعة المسلمين وشذ عنهم وترك ما جاء به الرسول ﷺ أو أشار به أو ألمح إليه أو ما أقامه ﷺ مقامه فقال - تعالىٰ -: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وأما ما وقع بينهم من الخلاف فهم بشر ليسوا بمعصومين، ومَن نحن حتىٰ ننصب أنفسنا حكاماً ومعدِّلين لهم؛ فلتسلم ألسنتنا كما تسلم قلوبنا، وهذا هو المذهب الأسلم والأحكم، ثم إن «القدْر الذي ينكر من فعلهم قليل نزرٌ مغمورٌ في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله عليهم به من الفضائل، علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله»(١).

كما ينبغي أن يعلم أن جمهور الصحابة، وجمهور أفاضلهم لم يدخلوا في فتنة، وقد ثبت بإسناد قال عنه ابن تيمية: «إنه من أصح إسناد علىٰ وجه الأرض»، عن محمد بن سيرين قال: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين»(٢). ولعل حسنة من أحدهم تعدل آلاف الحسنات من غيرهم، كما في النص الآتي قريباً، ولعل العاقل البصير المتجرد للحق - وللحق وحده - أن يدرك أن الله - عز وجل - لا يختار لصحبة نبيه وملازمته من كان مفسداً للدين مُبغضاً للنبي ﷺ.

وقد سُئل النصارىٰ فقيل لهم: مَنْ أفضلُ أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسىٰ. وسئلت طائفة ممن تنتسب للمسلمين: مَنْ شرُّ أهل ملتكم؟ فقالوا:

---

(١) العقيدة الواسطية لابن تيمية، ص ٢٠١.
(٢) منهاج السنة: ٦/ ٢٣٦.

أصحاب محمد ﷺ!! وطائفتان إحداهما لمزت مريم - عليها السلام - بالزنا، والأخرىٰ لمزت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - بالزنا؛ فتأمل رحمك الله كيف يجتمع الهوىٰ والضلال في تلك الطائفتين!! وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه»[(١)].

ولك أن تنظر في الذب عن الصحابة حينما دخل عائذ بن عمرو علىٰ عبيد الله بن زياد - كما روىٰ مسلم - فقال: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شر الرعاء الحُطَمة؛ فإياك أن تكون منهم»، فقال: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ. قال: وهل كان لهم أو فيهم نخالة، إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم»[(٢)]. وصدق - رضي الله عنه وأرضاه -:

أجد الملامة في هواك لذيذةً حباً لذكرك فليلمني اللوَّمُ

١٢ - الحساسية المفرطة حيال كل ما يتصل بتعظيم النبي ﷺ:

ويأتي في النهاية ما قد يكون السبب في التزام الجفاء والتقنع به وهو الحساسية المفرطة من بعض المنتسبين إلىٰ السنَّة والجماعة حيال كل ما يتصل بتعظيم النبي ﷺ وتقديره وتعظيم أهل بيته الصالحين، سواء عند ذكره أو ذكرهم أو القصد إلىٰ ذكره أو ذكرهم، خشية التشبه ببعض الطوائف، وهذا قصد في غير محله، وهذا التعظيم للنبي ﷺ لا يُقصد به الخروج عن التعظيم الشرعي الوارد في الكتاب والسنَّة، ولا الاحتفال بالموالد، ولا التواجد عند السماع، أو التلذذ بالمدائح وحدها، وضابط ذلك التعظيم ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ومعرفة المحب الصادق من غيره في الاتباع، ومن إذا ذكرت له هدي رسول الله ﷺ امتثله، وانتهىٰ عما أحدثه في الدين، ومن إذا ذكرت له السُّنَّة تركها واتبع هواه.

وقد يحتاج هذا الكلام - أعني الحساسية المفرطة - إلىٰ توضيح بالمثال؛ فما

---

(١) البخاري، رقم ٣٦٧٣، ومسلم، رقم ٢٥٤١.
(٢) مسلم، رقم ١٨٣٠.

زلت أذكر أحد أهل العلم ممن له حضور في الساحة الدعوية، وكان كثير الصلاة والسلام على النبي ﷺ في دروسه ومحاضراته وأشعاره، فكان يُنتقد من بعض المتعلمين بسبب ذلك؟! وأين هم من حديث أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: «أجعل لك صلاتي كلها»[1]، وقد يقول بعضهم: إن الجافي ترى عنده رقة في الدين وضعفاً في اليقين، بخلاف المحب الصادق؛ فإن عنده رقة للدين وقوة في اليقين. وماذا يضير الإنسان إذا كان مقتدياً بالسنة المطهرة أن يُصَنَّف أي تصنيف؟ أيُلام المحب على محبة النبي ﷺ؟!! أي شرف هذا الشرف؟ وأي عز هذا العز؟

ولئن نطقتُ بحبهم فلي في الصالحين قبلي سلف وقدوة:

لا بد للعاشق من وقفة ... ما بين سلوان وبين غرام
وعندها ينقل أقدامه ... إما إلى خلف وإما أمام

وليمتثل القارئ الكريم بهذا العنوان الجميل لحياة المحب الصادق:

ومن عجب أني أحن إليهم ... وأسأل شوقاً عنهم وهمُ معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ... ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

والزم ـ رعاك الله ـ الحقَّ، وإن كنت وحدك؛ فلا بد من أُنْسٍ وإن طال الطريق وكثر قُطّاعه، والله وحده هو الهادي.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه، رقم ٢٥٨٧، وأبو نعيم في الحلية: ٨/ ٣٧٧ وقال: غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم: ١٩٩٩، وفي الصحيحة برقم ٩٥٤.

الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ:

١ ـ محبة الله ـ تعالى ـ والأنس بذكره وحمده وشكره على النعم الظاهرة والباطنة والله ـ تعالى ـ له الثناء والحمد الأتمان الأكملان، وقد يعترف المرء بالعجز عن الشكر، وكما قيل: العجز عن الشكرِ شكرٌ، وهذا في غاية العبادة والذل مع المنعم ـ سبحانه ـ، والله ـ تعالى ـ قال في كتابه: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**﴾ [**البقرة**: ١٥٢]. وقد هدانا الله ـ عز وجل ـ وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وهدانا لما اختلف فيه أهل الكتاب، وهدانا لهذا الرسول الأكرم ﷺ، وهو النعمة العظمى والفخر الأسمى: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ [**النحل**: ٥٣]. وقد جمع الله هذه النعم فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا**﴾ [**الأحزاب**: ٤١ ـ ٤٧]، والذكر هو أفضل الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ.

كما ينبغي للعبد كثرة سؤال الله ـ تعالى ـ الصدق في المحبة، والدوام والثبات على المتابعة للرسول ﷺ:

أحن بأطراف النهار صبابة ... وفي الليل يدعوني الهوى فأجيب
وأيامنا تفنى وشوقي زائد ... كأن زمان الشوق ليس يغيب

وعلى الإنسان أن يأنس بخلوته ليتفرغ فيها للعبادة ففيها لذة السعادة التي لا تدرك إلا بالخلوات، ولذا قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «رأيت الخلوة أروح لقلبي»[١]، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «إن في الدنيا جنة من

(١) سير أعلام النبلاء: ١١/ ٢٢٦.

لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»، وقال في موضع آخر: «ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي في صدري، أنىٰ رحت فهي معي، أنا سجني خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»(١). قال ابن القيم: حدثني بعض أقارب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - قال: كان في بداية أمره يخرج أحياناً إلىٰ الصحراء، يخلو عن الناس، لقوة ما يرد عليه، فتبعتُه يوماً فلمَّا أصحر تنفس الصعداء، ثم جعل يتمثل بقول الشاعر:

وأخرُجُ من بين البيوت لعلَّني ... أُحدِّث عنكَ النفسَ بالسرِّ خالياً(٢)

كما أن من علامة محبة الله: ألا تفتقر إلىٰ غيره، ولا تسأل أحداً سواه، كما يقول ذو النون المصري: «قل لمن أظهر حب الله: احذر أن تذل لغير الله، ومن علامة الحب لله ألا يكون له حاجة إلىٰ غير الله»(٣)، وقد أثنىٰ الله علىٰ عباد له فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

نهاري نهارُ الناس حتى إذا بدا ... لي الليلُ هَزّتني إليك المضاجعُ
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والشوق بالليل جامعُ

ومن دلائلها: قراءة كلام الله - تعالىٰ - وتأمله وتدبره، والخشوع عند آياته، والوقوف عند حدوده، وإقامة حروفه، والفراغ إلىٰ النوافل بعد إقامة الفرائض كما قال - تعالىٰ - في الحديث القدسي: «من عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره

(١) ذكرها عنه ابن القيم في صحيح الوابل الصيب، تحقيق سليم الهلالي، ص ٩٣.
(٢) مدارج السالكين: ٣/ ٦٢.
(٣) حلية الأولياء: ٩/ ٣٧٣.

الموت وأكره مساءته»[١].

وحب الله ليس كلمات تقال، ولا قصصاً تروىٰ، وكذا محبة رسوله ﷺ، كما أنه «لا يكون دعوة باللسان، ولا هياماً بالواجدان، وكفىٰ، بل لا بد أن يصاحب ذلك: الاتباع لرسول الله ﷺ، والسير علىٰ هداه، وتحقيق منهجه في الحياة؛ فالمحبة ليست ترانيم "تغنىٰ، ولا قصائد تنشد"، ولا كلمات تقال، ولكنها طاعة لله ورسوله ﷺ، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول ﷺ، وأول ما يطالب به المؤمن أن يكون ولاؤه لله ورسوله ﷺ، ومحبته لرسوله ﷺ؛ بحيث تتجلىٰ هذه المحبة في سلوكه وانطلاقاته، والآيات كثيرة تشير إلىٰ هذه المفاهيم، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [**آل عمران**: ٣١، ٣٢]»[٢].

٢ ـ تقديم محبة النبي ﷺ وأقواله وأوامره على من سواه، وتعظيم ذلك، بدءاً من المحبة القلبية وتمنّي رؤيته وصحبته، وانتهاءً بالعمل بشريعته ظاهراً وباطناً، عن محبة وشوق، كما قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده، والناس أجمعين»[٣]. ويتجلىٰ هذا الحب إذا تعارض مع أحد هذه المحبوبات ما أحبه الله ورسوله ورضيه الله ورسوله ﷺ.

وكذا أخرج البخاري عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن والله! لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي

(١) البخاري، رقم ٦٥٠٢.
(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، الدكتور محمد لقمان الأعظمي، ص ٢٨، ٢٩.
(٣) البخاري، رقم ١٥، ومسلم، رقم ٤٤.

ﷺ: «الآن يا عمر»[1].

ويبلغ التشريف لمن قصد المحبة مبلغه في قول النبي ﷺ: «مِنْ أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله»[2].

ومما يجلب حنان القلب إلى النبي ﷺ وتعظيمه تذكُّر ما يأتي:

أ ـ تذكُّر أحوال الرسول ﷺ في حرصه على أمته، ورأفته ورحمته بهم، وما لاقاه الرسول ﷺ من الأذى والكيد من المشركين في مكة والطائف، ومن اليهود والمنافقين في المدينة. وسأذكر طائفة من المواقف والنصوص، لعل فيها رقة تنبئ عن عظيم وعظمة في الظاهر والباطن.

* قال ـ تعالى ـ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [**التوبة**: ١٢٨]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [**الأنبياء**: ١٠٧].

* عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ: أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بـ (قرن الثعالب) فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله ـ عز وجل ـ قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني مَلَك الجبال، وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا مَلَك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك،

---

(١) البخاري، رقم ٣٦٩٤.

(٢) البخاري، رقم ٣٥٨٩، ومسلم، رقم ٢٨٣٢. واللفظ له.

فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[١].

* قال ربيعة بن عباد الدؤلي ـ وهو شاهد عيان ـ: رأيت رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلىٰ الله ـ عز وجل ـ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: أيها الناس، لا يغرنكم هذا من دينكم ودين آبائكم. قلت: من هو؟ قالوا: أبو لهب!![٢].

* عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل له: قد علَّمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتىٰ الخراءة، قال: أجل! نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وأن نستنجي باليمين، وأن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم[٣].

* قال رسول الله ﷺ ـ يوم بدر عن الأسرىٰ والقتلىٰ ـ: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألني في هؤلاء النتنىٰ لوهبتهم له»[٤]، لأنه كان أجار النبي ﷺ لما رجع من الطائف، وهو الذي أمر بتمزيق الصحيفة التي حاصرت بني هاشم[٥].

* وقد ألبس النبي ﷺ ثوبه عبد الله بن أُبيّ بن سلول، وكفَّنه فيه حين مات؛ لأنه قد كسىٰ العباس بن عبد المطلب يوم بدر وهو أسير عريان؛ فجازاه النبي ﷺ بذلك مع أن ابن أُبيّ كان وكان..[٦].

* يقال عنه (ساحر، شاعر، مجنون، صابئ، يضرب علىٰ عقبه، يخنق بسلا الجزور، تكسر رباعيته، يدمىٰ وجهه، يتهم في بيته، يتهم في عدله

(١) البخاري، رقم ٣٢٣١، ومسلم، رقم ١٧٩٥.
(٢) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري: ١/ ١٩٣.
(٣) مسلم، رقم ٢٦٢.
(٤) البخاري، رقم ٣١٣٩، ٤٠٢٤.
(٥) انظر الفتح: ٧/ ٤١١.
(٦) ابن كثير: ٢/ ٢٠.

وقسمه . . . ومع ذلك يقول : «يرحم الله أخي موسىٰ، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»(١) .

❋ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلىٰ وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتىٰ يجيش كل ميزاب :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل(٢)

ب ـ تذكُّر الأجر والأثر العاجل في الدنيا والآخرة الوارد في محبة النبي ﷺ والصلاة عليه، ومن ذلك :

❋ وجود الحياة الطيبة بلذة الإيمان وغاية السعادة، ففي حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقىٰ في النار»(٣) .

❋ أن تمام الإيمان لا يكون إلا بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه وتوقيره، كما في الحديث : «لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(٤) .

وأما أصل المحبة الذي يعني الطاعة والانقياد والتسليم فلا شك في فرضيته : ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [**النساء** : ٦٥] . ولذا فلا يسع أحداً الخروج عن طاعة الرسول ﷺ والعدول عما أمر به، بل يجب الامتثال للأمر

---

(١) البخاري، رقم ٣٤٠٥، ومسلم، رقم ١٠٦٢ .
(٢) البخاري، رقم ١٠٠٩ .
(٣) البخاري، رقم ١٦، ومسلم، رقم ٤٣ .
(٤) البخاري، رقم ١٥، ومسلم، رقم ٤٤ .

والنهي وتقديهما على حظوظ النفس ودوافع الهوى(١).

* أن في محبته ﷺ والصلاة عليه - وهي من ذكر الله - تفريجاً للهموم، وصلاحاً للبال، وغفراناً للذنوب، وتكفيراً للسيئات، قال الله - تعالى -: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ** ﴾ [**محمد**: ٢].

وعن أُبيٍّ بن كعب - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه»، قال أُبيٌّ: فقلت: يا رسول الله، إني أكثر من الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت»، قلت: الربع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: فالنصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير»، قلت: فالثلثين؟، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك»(٢).

* أن من أحبه كان أولى الناس به، كما قال ﷺ - لمن أحبه وأعدَّ هذا الحب ليوم القيامة -: «أنت مع من أحببت»(٣).

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى بالمطايا طيب ذكراك حادياً

ج - تذكُّر سماحة الإسلام به وبشريعته، كما قال - تعالى -: ﴿ **يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [**الأعراف**: ١٥٧].

(١) فتح الباري، لابن رجب: ١/ ٥٣.
(٢) رواه الترمذي وحسنه، رقم ٢٥٨٧، وأبو نعيم في الحلية: ٨/ ٣٧٧ وقال: غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم ١٩٩٩، وفي الصحيحة برقم ٩٥٤.
(٣) البخاري، رقم ٦١٦٧، ومسلم، رقم ٦٢٣٩.

وكما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقوله ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[١]، وقوله ﷺ لأبي موسىٰ الأشعري ومعاذ بن جبل ـ رضي الله عنهما ـ حينما بعثهما لليمن: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[٢].

د ـ محبة ما أحبه ﷺ وبُغض ما أبغضه ﷺ في المعاملات والآداب، بل لا يستقيم حب صحيح إلا بتتبع ما أحبه المحبوب والبعد عما أبغضه، كما قال القائل:

أريد وصاله ويريد هَجْري ... فأترك ما أريد لما يريد

وقول الآخر:

ولو قلت لي: متْ متُّ سمعاً وطاعة ... وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبا

وقد روي بهذا المعنىٰ حديث: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعاً لما جئت به»[٣].

وفي محكم التنزيل ـ وهو أقوىٰ دليل ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

إن هواك الذي بقلبي ... صيرَّني سامعاً مطيعا
أخذتَ قلبي وغمضَ عيني ... سلبْتَني النومَ والهجوعا
فذر فؤادي وخُذْ رُقَادي ... فقال: لا بل هما جميعا

ولهذا يروىٰ عن ذي النون المصري أنهم تكلموا في مسألة المحبة عنده،

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٤٩٠، وانظر تخريجه فيه.
(٢) البخاري، رقم ٤٣٤٤، ومسلم، رقم ١٧٣٣.
(٣) جامع العلوم والحكم: ٢/ ٣٩٣، وانظر تخريجه مفصلاً فيه، وقد حسنه النووي وغيره، وضعفه ابن رجب، وهو صحيح المعنىٰ بلا شك، ولهذا أوردته هنا.

فقال: اسكتوا لئلا تسمعها النفوس فتدعيها[١].

رضـوا بالأماني وابتُلوا بحظوظهم ... وخاضوا بحار الحب دعوى وما ابتلُّوا
فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم ... وما ظعنوا في السير عنه وقد كلُّوا

ومنه ينبغي للمرء الحرص على تصحيح الأعمال والنيات لله تعالى؛ حتى يستكمل حقيقة الإيمان، وفي هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[٢].

ألا يا محبَّ المصطفى زد صبابةً ... وضمِّخ لسان الذكر منك بطيبهِ
ولا تعبأن بالمبطلين فإنما ... علامةُ حبِّ الله حبُّ حبيبهِ

٣ ـ **تولي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين**، وذكر محاسنهم وفضائلهم والكف عما شجر بينهم، وإنما نحب نحن من أحب الله ورسوله، كما أن حبهم وموالاتهم تقرب إلى حب الله وحب رسوله ﷺ، وتجلب الحب لهما، كما أننا نُحِبُ بحُبِ النبي ﷺ، ونبغض ببغضه، وهذا من الآثار اللازمة لمن كان محباً للنبي ﷺ؛ ولذا لما سمع النبي ﷺ صوتاً لقريب ممن يحبه اهتز لذلك سروراً، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» فغرتُ... الحديث[٣].

وكان إذا ذبح شاة قال: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»[٤] قال ابن حجر: «وفي الحديث: أن من أحب شيئاً أحبّ محبوباته، وما يشبهه، وما يتعلق به»[٥].

(١) مجموع الفتاوى: ١٠/ ٨١.
(٢) رواه أبو داود، رقم ٤٦٨١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٣٨٠.
(٣) البخاري، رقم ٣٨٢١، ومسلم، رقم ٢٤٣٧.
(٤) البخاري، رقم ٣٨١٨، ومسلم، رقم ٢٤٣٧.
(٥) فتح الباري: ٧/ ١٧٥.

تمر الصبا صفحاً بسكان ذي الغضا ويصدَعُ قلبي أن يهبَّ هبوبُها
قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كل نفسٍ حيثُ حلَّ حبيبها

ولست في مقام النائب عن العقل حتىٰ نستدرك هذا الحب، وإنما هو واقع ما أجمله:

أحب بني العوام طراً لحبها ومن أجلها أحببت أخوالها كلباً

وينبغي علىٰ العاقل أن يتأمل حقيقة الحب وأثره ومعناه:

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجلِ الحبيبِ حبيبُ

وقد خشي ﷺ ممن يلمز أصحابه أو يلومهم، فقال ﷺ: «لا تسبُّوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»(١). هذا في عموم الصحابة، وأما في الأنصار، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: مرَّ أبو بكر والعباس ـ رضي الله عنهما ـ بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل علىٰ النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب علىٰ رأسه حاشية بُرد، قال: فصعد المنبر ـ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ـ فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشي وعيبتي(٢)، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»(٣).

وفي رواية عند البخاري: «وإن الناس سيكثرون ويقلون»(٤). قال ابن حجر في الفتح: «أي أن الأنصار يقلون: وفيه إشارة إلىٰ دخول قبائل العرب والعجم

(١) البخاري، رقم ٣٦٧٣، ومسلم، رقم ٢٥٤١.
(٢) أي: بطانتي وخاصتي... يريد أنهم موضع سرِّه وأمانته، قال ابن دريد: هذا من كلامه ﷺ الموجز الذي لم يُسبق إليه، فتح الباري: ٧/ ١٥٣.
(٣) البخاري، رقم ٣٧٩٩، ومسلم، رقم ٢٥١٠.
(٤) البخاري، رقم ٣٨٠١.

في الإسلام وهم أضعاف أضعاف قبيلة الأنصار، فمهما فرض في الأنصار من الكثرة كالتناسل، فرض في كل طائفة من أولئك، فهم أبداً بالنسبة إلىٰ غيرهم قليل، ويحتمل أن يكون ﷺ اطلع علىٰ أنهم يقلّون مطلقاً، فأخبر بذلك، فكان كما أخبر، لأن الموجودين الآن من ذرية علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ممن يتحقق نسبه إليه أضعاف من يوجد من قبيلتي الأوس والخزرج، ممن يتحقق نسبه، وقس علىٰ ذلك، ولا التفات إلىٰ كثرة من يدعي أنه منهم بغير برهان»(١).

بل تبلغ الدعوة إلىٰ حب الأنصار أن جعل رسول الله ﷺ حبهم آية علىٰ الإيمان، وبغضهم آية علىٰ النفاق، فقال فيهم: «لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يُبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»(٢).

وفي المهاجرين يقول ـ تعالىٰ ـ في أصدق وصف وأدق تعبير: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [**الحشر**: ٨].

ويجمعهم النص القرآني في موضع آخر: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [**التوبة**: ١٠٠].

ومما يدعو إلى توليهم ويزيد من محبتهم تذكُّر ما يلي:

* محبة النبي ﷺ لهم وثناؤه عليهم إنْ في المجموع وإنْ في الأفراد.

* شرفهم بشرف رؤيتهم ومصاحبتهم لأشرف وأفضل الخلق، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وأثنىٰ عليهم في القرآن، فهم أفضل الناس، وهم خير القرون

(١) فتح الباري لا بن حجر: ٧/ ١٥٤.
(٢) البخاري، رقم ٣٧٨٣، ومسلم، رقم ٧٥.

بنص الحبيب ﷺ(١).

❊ سابقتهم في الإسلام، وتحملهم الأذىٰ، وصبرهم حتىٰ فرج الله لهم.

❊ ما قدموا لله وللدين وللنبي ﷺ من النفس والمال والولد، وشدهم من عزم الرسول ﷺ وتثبيته.

❊ نصر بعضهم لبعض وكونهم كالجسد الواحد ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [**الفتح**: ٢٩].

❊ حرصهم علىٰ نشر الدين وتبليغ سنة النبي ﷺ وتعليم الناس القرآن، وانتشارهم لأجل ذلك في الآفاق.

❊ كما أنهم أعلم الخلق بدين الله بعد النبي ﷺ وما أجمعوا عليه لا يسع أحداً خلافه.

أين الذين بنار حبِّك أرسلوا الأنوار بين محافل العشاقِ
سكبوا الليالي في أنين دموعهم وتوضئوا بمدامع الأشواقِ

❊ ❊ ❊

كيف انطوت أيامُهم وهم الأُلى نشروا الهدى وعلَوا مكان الفَرقدِ
هجروا الديار فأين أزمع ركبهم من يهتدي للقوم أو مَن يقتدي
يا قلب حسبك لن تلمَّ بطيفهم إلا على مصباح وجه محمدِ

❊ ❊ ❊

قومٌ إذا هيجوا كانوا ضراغمة وإن هم قسموا أرضوك بالقسم
كأنما الشرع جزءٌ من نفوسهم فإن هم وعدوا استغنوا عن القسم

❊ ❊ ❊

(١) قال ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» رواه البخاري من حديث ابن مسعود، رقم ٢٦٥٢.

٤ ـ **إجلال أهل بيت النبي ﷺ وآله إجلالاً يليق بهم**، وإكرام الصالحين منهم وموالاتهم، ومعرفة أقدارهم، وهذا مطلب شرعي قبل أن يكون مقرباً لحب النبي ﷺ، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ [**الشورى**: ٢٣](١). وروىٰ مسلم في صحيحه قوله ﷺ: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث علىٰ كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي»(٢).

وروىٰ البخاري عن ابن عمر عن أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ قال: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»(٣).

كما ينبغي مراعاة ما يلي:

* بقاء شرف النسب لهم وتميزهم عن غيرهم لأجل ذلك.

* أنهم كغيرهم فيهم الصالح وفيهم غير ذلك، وأنهم داخلون في قوله ﷺ: «ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(٤).

* الدعاء لهم في الصلاة والسلام علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم بقوله: وآله.

---

(١) وهذا الاستثناء منقطع حتىٰ لا يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة، ومعنىٰ الآية: ولكني أذكركم المودة في القربىٰ، وأذكركم قرابتي منكم، قاله البغوي في تفسيره: ٧/ ١٩٢، وابن كثير، ٤/ ١١٤، وابن عاشور في التحرير والتنوير: ١٢/ ٨٣.

(٢) مسلم، رقم ٢٤٠٨، ولا تعني الوصية بهم تقديمهم علىٰ سنة رسول الله ﷺ، بل أوصىٰ بالسنة مع القرآن في أحاديث أخرىٰ كثيرة، ليس هذا مقام ذكرها، وهي المقدَّمة، يتجلىٰ ذلك في قصة أبي بكر رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها في شأن ميراث النبي ﷺ.

(٣) البخاري، رقم ٣٧١٣.

(٤) مسلم، رقم ٢٦٩٩.

* تولي الصالحين منهم ومجالستهم والأخذ عنهم والبرِّ بهم وتطييب خواطرهم؛ فإنهم من آثار النبي ﷺ، ومحاولة القرب منهم، ومصاهرتهم تزوجاً أو تزويجاً.

* مناصرتهم والبذل لهم، والذبُّ عنهم، وذكر مناقبهم ومحاسنهم، وهم من حُرموا الصدقة.

* تأكيد مناصحة غير الصالح منهم والشفقة عليه والرحمة به، ودعوته إلى نهج آل البيت الطيبين الطاهرين واستقامتهم على الشريعة المحمدية، وسلامة صدورهم وألسنتهم على الصحابة ومن بعدهم.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أشد تعظيماً ومحبة لآل البيت لاستشعارهم مكانة أولئك من النبي ﷺ وامتثالاً لوصايا النبي ﷺ. وقد أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - عام الرمادة أن يستسقي بالناس فسقوا. وكان عمر - رضي الله عنه - يقول: اللهم إنَّا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فأسقنا، قال: فيُسقون[1].

قال ابن حجر: ويستفاد من قصة العباس: استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة[2]، ومنه فضل العباس وفضل عمر بتواضعه للعباس ومعرفته بحقه[3].

ولما دخل عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - في حاجة له على عمر بن عبد العزيز قال له عمر: إذا كانت لك حاجةٌ

(١) البخاري، رقم ١٠١٠.
(٢) وغير خاف أن المقصود الاستشفاع بدعائهم لا بذواتهم.
(٣) فتح الباري: ٢/ ٦٣٢، وانظر: مجموع الفتاوى: ١/ ٢٢٥، ٣١٥.

فأرسل إليَّ أو اكتب فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي(١).

وعن الشعبي: صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه، ثم قُرِّبت له بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله، فقال: هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيدٌ يدَ ابن عباس؛ وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ(٢).

وإليك أسوق هذه القصة، عن أحمد بن حنبل - رحمه الله -، حين ضُرب في محنته وقُيِّد، وبعد أن أقام الحجة على أحمد بن أبي دؤاد أمام الواثق.

«قال الواثق: اقطعوا قيد الشيخ، فلما قُطع، ضَرَبَ بيده إلى القيد ليأخذه، فجاذبه الحداد عليه. فقال الواثق: لم أخذته؟ قال: لأني نويت أن أُوصي أن يجعل في كفني حتى أخاصم به هذا الظالم غداً، وبكى، فبكى الواثق، وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حِل، فقال: لقد جعلتك في حِل وسعة من أول يومٍ، إكراماً لرسول الله ﷺ، لكونك من أهله!!»(٣).

وهذا دعبل الخزاعي يمدح آل البيت فيقول:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العَرصاتِ
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها ... مغاوير نحّارون في السنواتِ
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمدٍ ... وجبريل والقرآن ذي السوراتِ
ملامك في أهل النبيّ فإنهم ... أحباءيَ ما عاشوا وأهل ثقاتِ
أحب قصي الرحم من أجل حبكم ... وأهجر فيكم أسرتي وبناتي
تخيَّرتهم رشداً لأمري إنهم ... على كل حالٍ خيرة الخيراتِ
فيا ربّ زدني في يقيني بصيرة ... وزد حبهم يا ربّ في حسناتي(٤)

(١، ٢) الشفا: ٢/٦٠٨.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١١/ ٣١٥.

(٤) معجم الأدباء: ١١/ ١٠٣، من قصيدة طويلة.

وأقول كما قال الأول:

وتعـــذلني أبـناءُ ســعــد عليـــهم ... ومـــا قلت إلا بالذي علمت ســعـــدُ

٥ - تعظيم السنة والآثار والأدلة من الوحيين قولاً وعملاً وعلماً، وهذا ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول: «القصد في السنَّة خير من الاجتهاد في البدعة»(١)، وقال أبو عثمان الحيري: «من أمّر السنّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوىٰ علىٰ نفسه نطق بالبدعة»(٢)، وقيل لمالك - رحمه الله -: لِمَ لَمْ تأخذ عن عمرو بن دينار؟ فقال: أتيته، فوجدته يأخذون عنه قياماً، فأجللت حديث رسول الله ﷺ أن آخذه قائماً(٣).

وقال سهل بن عبد الله: «أصولنا ستة أشياء: التمسك بكتاب الله - تعالىٰ -، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذىٰ، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق»(٤).

ومـمَّا يُعينُ على تعظيم السنَّة والأَثَر ومحبتهما تذكُّر ما يلي:

* كونها تدعو إلىٰ العمل بها: فالعمل طوع المحبة الصادقة، كما قال - تعالىٰ -: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [**آل عمران**: ٣١]. ولذا قُسِّمَ المحبُّون إلىٰ أقسام ثلاثة: منهم من يريد من المحبوب، ومنهم من يريد المحبوب، ومنهم من يريد مراد المحبوب، مع إرادته للمحبوب، وهذا أعلىٰ أقسام المحبين(٥).

تعـــصي الإلـه وأنت تـظهـــر حُــبّـــه ... هذا لـعـــمـــري في القـــيـــاس شنيع
لو كـــان حُــبُّك صـــادقـــاً لأطعـــتـــه ... إن المحـــبَّ لمـــن يُـــحـــبُّ مـــطـــيـــعُ

(١) ذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس مسنداً موقوفاً، ص ١٥.
(٢) حلية الأولياء: ١٠/ ٢٤٤.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٦٧.
(٤) حلية الأولياء: ١٠/ ١٩٠، وشذرات الذهب: ٢/ ١٨٣.
(٥) روضة المحبين لابن القيم، ص ٢٧٣، تحقيق السيد الجميلي.

* كونها شريعة واجبة، كما قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي عضُّوا عليها بالنواجذ»(١).

* كونها تشرِّف من انتسب إليها بمجموع الأحاديث الدالة على السنَّة وعلى الجماعة:

لما انتسبت إليك صرتُ معظَّماً وعلوتُ قدراً دون من لم ينسبِ

* كونها الميزان العدل الذي يتميَّزُ به المتبع من غيره، وهي القاعدة للعقائد والأخلاق والمعاملات والشريعة، كما أنها الشريعة الوسط كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

* كونها الحق الذي يبقى إلى يوم القيامة، كما قال النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(٢).

* كونها الموافقة للفطرة المستقيمة والصالحة لكل زمان ومكان، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

٦ ـ **إجلال العاملين بالسنة وتقديرهم وتوقيرهم**، وخاصة العلماء منهم، فهم الشامة في جبين الأمة، وهم النور الذي يمشي بين الناس، كما هم الأمنة والأمناء على ميراث النبوة.

ويزداد حقهم لكونهم يُحيُون السنن ويجدِّدون ما اندرس من معالم الدين، وكونهم أعلم الناس وأقربهم بالنبي ﷺ قولاً وفعلاً ووصفاً ظاهراً وباطناً(٣)،

(١) أبو داود، رقم ٤٦٠٧، والترمذي، رقم ٢٨١٥، وابن ماجه، رقم ٤٣، ٤٤، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤.
(٢) البخاري، رقم ٣١١٦، ومسلم، رقم ١٩٢٠.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٥٧١.

كما أنهم «أحبوا أصحابه ووالُوهم وأخذوا عنهم الحديث النبوي الشريف علماً وعملاً فقهاً وسلوكاً. فهم الذين يرفعون شعار القرآن والسنة النبوية والإجماع، فيتمسكون بجماعتهم ويلمُّون شملها، ويحافظون على ائتلافها، وينضوون تحت رايتها بعيدين عن رايات وشعارات الفرق الضالة من أهل الشذوذ والتَفَرُّق والأهواء والاختلاف»(١).

ولهذا قال سفيان بن عيينة: «لا تجد أحداً من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة؛ لدعوة النبي ﷺ»، وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: «إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، جزاهم الله خيراً، حفظوا فلهم علينا الفضل لأنهم حفظوا لنا»(٢).

ولا ينبغي العدول عن أعلام الإسلام إلى رموز الضلالة في الأدب من الكتَّاب المعاصرين أو الفلاسفة أو الثوّار أو الزعماء هنا أو هناك، بل ينبغي الذبُّ عن علماء الإسلام والالتفاف حولهم وحبهم ونصحهم، وتكثير سوادهم والثقة بهم، وحضور مجالسهم؛ فعندهم الميراث الصحيح ميراث الأنبياء فتأمَّل!!

العلم ميراثُ النبي كما أتى في النص والعلماءُ هم وُرَّاثُهُ
ما خلّف المختار غيرَ حديثه فينا فذاك متاعه وأثَاثُه

٧ ـ **الإكثارُ من قراءة السيرة النبوية** والمطالعة فيها والاستفادة منها وتذكر أحوال الرسول ﷺ وأقواله وأعماله وجهاده وتكوينه المجتمع الإسلامي من غير أن يحد بقطر سواء أكان مكة أم المدينة أم الطائف أم الحبشة أم اليمن أم نجد أم غيرها من البلاد، ونشره الشريعة من غير أن تخص بوقت أو جنس. بل ينبغي أكثر من ذلك ـ وليس بكثير ـ على المرء أن يجمع غيره معه عند قراءة السيرة سواءً من أهل بيته أو أصحابه أو دروسه ومحاضراته، وينبغي تعليم القاصي والداني

(١) أهل السنة والجماعة، معالم الانطلاقة الكبرى، محمد عبد الهادي المصري، ص ٧٨.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٠، وحلية الأولياء: ٩/ ١٠٩.

تلك السيرة العطرة ففيها الغناء وفيها المتعة، وكذلك الإكثار من قراءة سيرة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فإنها إنما تحكي حياتهم للدين وللرسول الأعظم ﷺ، وليحرص المرء على أن يكون له وقفات يومية في قراءة سيرة النبي ﷺ وسير الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وبذلهم الغالي والنفيس؛ لعل الله أن يقيم في قلبه ما قام في قلوبهم ويكفي شرفاً أنك تحيا حياة القوم.

قال شقيق البلخي: قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت، لِمَ لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس(١).

لنا جلساء ما نملُّ حديثهم ... ألبَّاءُ مأمونون غيباً ومشهداً
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وحلماً وتأديباً ورأياً مسدّداً

ومن الكتب التي ينبغي المطالعة فيها وقراءتها، (السيرة النبوية الصحيحة) لأكرم ضياء العمري وهو كتاب قمة في التوثيق، و(هذا الحبيب ﷺ يا محب) لأبي بكر الجزائري، و(الرحيق المختوم) للمباركفوري، و(مختصر سيرة الرسول ﷺ) للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ، و(تهذيب سيرة الرسول ﷺ) لابن هشام، تهذيب عبد السلام هارون.. وغيرها كثير لمن أراد المزيد(٢). كما أوصي طلبة العلم بكتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) للقاضي عياض، قراءة، ومطالعة، ومدارسة، ومناقشة.

٨ ـ **الذبُّ عن النبي ﷺ** والتصدي للمغرضين والمنافقين والمنهزمين والمستشرقين والمستغربين الذين يبثُّون سمومهم في وسائل الإعلام المختلفة ووسائل الاتصال المتنوعة إيذاءً للمؤمنين ومحاربة لله ولدينه ولأوليائه، وقد

(١) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٣٩٨.

(٢) من الكتب الجديرة بالقراءة كذلك: (السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية) للدكتور مهدي رزق الله، و(السيرة النبوية) لمحمد أبو شهبة، و(فقه السيرة النبوية) لمنير محمد غضبان.

انتدب النبي ﷺ من أصحابه من يكفيه المشركين مع أن الله قد حفظه فقال: «من يردهم عنَّا، وله الجنة»(١).

وقال لأبي قتادة حين كاد النبي ﷺ أن يسقط من الراحلة ثلاث مرات وهو نائم، وكان أبو قتادة يدعَمُه حتىٰ لا يسقط قال له: «حفظك الله بما حفظت نبيه»(٢). وقال لحسان بن ثابت حين كان ينتدب للدفاع عن الرسول الكريم ﷺ: «اهجهم وجبريل معك»(٣). ومن قول حسان رضي الله عنه:

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاءُ

والدفاع والذب عن الرسول ﷺ وآل بيته، وأصحابه شرفٌ ورفعة ينبغي العمل لأجله، كما أنه واجب علىٰ الإنسان العارف التحذير من المتطاولين علىٰ السنَّة وأهلها، وكشفهم للناس حتىٰ لا تنفذ شبههم وسمومهم، وتحذير الناس منهم ومن كتاباتهم، والله ـ عز وجل ـ مؤيد وحافظ وناصر من نصر الدين والمرسلين، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [**الحج**: ٤٠]. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ [**غافر**: ٥١].

و «لَّما تحدث عن الذين ينصرون الله ورسله بالغيب، عقَّب علىٰ هذا بإيضاح معنىٰ نصرهم لله ورسله؛ فهو نصر لمنهجه ودعوته، أما الله ـ سبحانه ـ فلا يحتاج منهم إلىٰ نصر إن الله قوي عزيز»(٤). كما أن من لوازم الانتصار للدين، والذود عن حياض الإسلام: الذبُّ عن المسلمين أتباع دينه في كل مكان، من المستضعفين والمجاهدين، والنصرة لهم بالمال والنفس، وبالقلم والسنان، حتىٰ

(١) رواه مسلم، رقم ١٧٨٩.
(٢) رواه مسلم، رقم ٦٨١.
(٣) رواه البخاري، رقم ٣٢١٣، ومسلم، رقم ٢٤٨٦.
(٤) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٤٩٥.

تكتمل فصول النصر والتمكين للمسلمين في هذه الأرض، كما قال ـ تعالىٰ ـ :
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ .

[**الأنبياء** : ١٠٥] .

كما أن من علامات المحبة ومقتضياتها تعظيمه ﷺ حياً وميتاً، وتعظيم أمره في النفوس، واستشعار كلامه وجلاله النبوي، والامتثال مع الذل للأمر والنهي ونصره في القلوب وفي الأعمال، كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴿٨﴾ **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ .

[**الفتح** : ٨، ٩] .

كما أن من علامة المحبة الغيرة علىٰ محارم الله ومحارم رسوله ﷺ .

ألا بقيّةٌ من غيرةٍ تُذْهِبُ زيف الباطل وصولجانه؟! ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ [**الرعد** : ١٧] .

ومودِّع يومَ الفراق بلحظه   شرق من العبرات ما يتكلمُ

أسأل الله أن يجعل ما كتبت مما ينفع الناس، ومما خلص فيه لوجهه، وأن ينفع به كاتبه، وقارئه، وأن يجمعنا في مستقر رحمته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقاً. . . آمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الرسالة الثانية

هكذا نحب النبي ﷺ ونعظمه

عبد اللطيف بن محمد الحسن

لقد حبا الله -تبارك وتعالىٰ- نبينا محمداً ﷺ من الخصائص القوية والصفات العلية والأخلاق الرضية ما كان داعيًا لكل مسلم أن يُجلَّه ويعظِّمه بقلبه ولسانه وجوارحه.

وقد كان لأهل السنة والجماعة قدم صدق في العناية بجمع خصائصه، وإبراز فضائله، والإشادة بمحاسنه، فلم يخلُ كتاب من كتب السنة كالصحاح والسنن ونحوها.. من كتب مخصصة في ذكر مآثره، كما أُفردت كتب مستقلة للحديث عنه وعن سيرته[(١)].

وقد اختار الله -عز وجل- لنبيه ﷺ اسم (محمد) المشتمل على الحمد والثناء[(٢)]؛ فهو ﷺ محمود عند الله -تعالىٰ-، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين -عليهم الصلاة والسلام-، ومحمود عند أهل الأرض كلهم -وإن كفر به بعضهم-؛ لأن صفاته محمودة عند كل ذي عقل وإن كابر وجحد؛ فصدق عليه وصفه نفسه ﷺ حين قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأول من يشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفَّع»[(٣)].

---

(١) من ذلك مثلاً: (شمائل النبي ﷺ)، للترمذي، واختصره الألباني، و(سبل الهدىٰ والرشاد)، للصالحي، و(غاية السول في خصائص الرسول)، لابن الملقن، و(بداية السول في تفضيل الرسول)، للعز بن عبد السلام، وهي رسالة لطيفة حققها الألباني وذكر أن جميع أحاديثها ثابتة، و(الخصائص الكبرىٰ للسيوطي).

(٢) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام علىٰ خير الأنام، لابن القيم الجوزية، ت: مشهور حسن سلمان: ٢٧٧.

(٣) أخرجه مسلم: ٢/ ١٧٨٢، رقم ٢٢٧٨.

وقد أغاث الله ـ تعالىٰ ـ به البشرية المتخبطة في ظلمات الشرك والجهل والخرافة، فكشف به الظلمة، وأذهب الغمة، وأصلح الأمة، وصار «هو الإمام المطلق في الهدىٰ لأول بني آدم وآخرهم»(١)، فهدىٰ الله به من الضلالة، وعلَّم به من الجهالة، وأرشد به من الغواية، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وكثَّر به بعد القلة، وأعزَّ به بعد الذلة، وأغنىٰ به بعد العيلة.

عرَّف الناسَ ربَّهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف، لا إلىٰ من قبله، ولا إلىٰ من بعده، بل كفاهم، وشفاهم، وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب: ﴿**أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [**العنكبوت**: ٥١]، وعرَّفهم الطريق الموصلة إلىٰ ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يَدَع ﷺ حسناً إلا أمر به، ولا قبيحاً إلا نهىٰ عنه.

وعرَّفهم حالهم بعد القدوم علىٰ ربهم أتم تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدع باباً من العلم النافع للعباد المقرِّب لهم إلىٰ ربهم إلا فتحه، ولا مشكلاً إلا بيَّنه وشرحه، حتىٰ هدىٰ به القلوب من ضلالها، وشفاها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها؛ فأي بشر أحق بأن يُحب مثله؟! جزاه الله عن أمته أفضل الجزاء.

«ومما يحمد عليه ﷺ ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم؛ فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق الخلق، وأكرم شمائل الخلق، فإنه ﷺ كان أعظم الخلق، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم وأسخاهم، وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، كما روىٰ البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة: «محمد عبدي

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية: ١٠/ ٧٢٧.

ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سخّاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتىٰ أقيم به الملَّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً»(١)، وأرحم الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعاً لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيراً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة علىٰ المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة علىٰ الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعاً، وأعظمهم إيثاراً علىٰ نفسه، وأشد الخلق ذبّاً عن أصحابه، وحماية لهم، ودفاعاً عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهىٰ عنه، وأوصل الخلق لرحمه، فهو أحق بقول القائل:

بَـرْدٌ علـىٰ الأدنىٰ ومرحـمـةٌ وعلـىٰ الأعـادي مارنٌ جَلْدُ»(٢)

بواعث محبة النبي ﷺ وتعظيمه:

يدعو المسلمَ إلىٰ ذلك أمورٌ عدة، منها:

١ ـ موافقة مراد الله ـ عز وجل ـ في محبته لنبيه ﷺ وتعظيمه له، فقد أقسم بحياته ﷺ تعظيماً له في قوله: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [**الحجر**: ٧٢](٣). كما أثنىٰ عليه فقال: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [**القلم**: ٤]، وقال: ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾ [**الشرح**: ٤]، فلا يُذكر بشر في الدنيا ويثنىٰ عليه كما يُذكر النبي ﷺ ويثنىٰ عليه. وقد اتخذه ربه ـ تعالىٰ ـ خليلاً ﷺ(٤).

---

(١) البخاري بنحوه: ٣/ ٢١، رقم ٢١٢٥، فتح: ٤/ ٤٠٢.
(٢) جلاء الأفهام، لابن القيم، ت: مشهور سلمان، ص ٢٨٤ ـ ٢٩١.
(٣) انظر: شرح الشفا للقاضي عياض، لملا علي القاري، ١/ ٧٢، وليس لأحد غير الله ـ عز وجل ـ أن يُقسم بالنبي ﷺ ولا بحياته، إذ كيفية التعظيم الشرعية واضحة في القرآن الكريم وعلىٰ لسان النبي ﷺ الذي أوضح أن الحلف بغير الله شرك ـ كما سيأتي في أثناء هذا الكتاب ـ.
(٤) كما في حديث مسلم: ٢/ ١٨٥٥، رقم ٢٣٨٣.

قال ابن القيم: «وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مُرسله وتعظيمه؛ فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له؛ فهي محبة لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ﷺ»(١).

ولذا فإن محبته وتعظيمه ﷺ من شرط إيمان العبد، بل الأمر كما قال ابن تيمية: «إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله»(٢).

٢ ـ ما ميزه الله ـ تعالىٰ ـ به من شرف النسب، وكرم الحسب، وصفاء النشأة، وكمال الصفات والأخلاق والأفعال.

٣ ـ شدة محبته ﷺ لأمته وشفقته عليها ورحمته بها. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [**التوبة**: ١٢٨]، وكم كان يسأل الله ـ تعالىٰ ـ الخير لأمته ويفرح بفضل الله عليها؟! وكم تحمل من مشاق نشر الدعوة، وأذىٰ المشركين بالقول والفعل حتىٰ أتم الله به الدين وأكمل به النعمة؟!(٣).

وجوب محبة النبي ﷺ:

محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

يقول ربنا ـ تعالىٰ ـ: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ**

(١) جلاء الأفهام، ص ٢٩٧.
(٢) الصارم المسلول، ص ٢١١.
(٣) انظر: التأدب مع رسول الله ﷺ في ضوء الكتاب والسنة، حسن نور حسن، ص ٣٧ ـ ١٢٣.

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال القاضي عياض في شرح الآية: «فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرَّع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله»(١).

قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن اشئتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] . . .»(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «أنا أولى بكلّ مؤمن من نفسه»(٣).

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(٤). وقال أيضاً: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»(٥).

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يارسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال

(١) الشفا بتعريف أحوال المصطفى: ٢/ ١٨.
(٢) البخاري: ٦/ ٢٢، رقم ٤٧٨١، فتح: ٨/ ٣٧٦.
(٣) أخرجه مسلم: ١/ ٥٩٢، رقم ٨٦٧.
(٤) أخرجه البخاري، رقم ١٥، فتح: ١/ ٥٨، ومسلم: ١/ ٦٧، رقم ٤٥.
(٥) أخرجه البخاري، رقم ١٤، فتح: ١/ ٥٨.

النبي ﷺ: «الآن يا عمر»(١). قال ابن حجر: «أي: الآن عرفتَ فنطقتَ بما يجب»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(٣).

قال الدكتور محمد درَّاز في شرح هذا الحديث: «ومحبة الله ورسوله هي أرقى أنواع هذه المحبة العقلية وأقواها، فمن كان باعث المحبة عنده معرفة ما في المحبوب من كمال ذاتي فالله ـ تعالى ـ أحق (٤) بمحبته؛ إذ الكمال خاصة ذاته، والجمال الأتم ليس إلا لصفاته، والرسول ﷺ أحق من يتلوه في تلك المحبة؛ لأنه أكرم الخلق عند ربه، وهو ذو الخلق العظيم والهدي القويم، ومن كانت محبته للغير تقاس بمقاس ما يوصله إليه ذلك من الغير من المنافع وما يغدق عليه من الخيرات، فالله ـ تعالى ـ أحق بهذه المحبة أيضاً، وإن نعمه علينا تجري مع الأنفس ودقات القلوب ولا نعمة إلا هو مصدرها، ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ [**النحل**: ٥٣]، ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ [**النحل**: ١٨]، وهذا الرسول الكريم الرؤوف الرحيم هو واسطة النعمة العظمى، إذ هو الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى، واستنقذنا به من النار بعد أن كنا على شفا حفرة منها؛ فليس بعد الله أحد أمنّ علينا منه، ومحبته الحقيقية شعبة من محبة الله»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري: ٧/ ٢١٨، رقم ٦٦٣٢، فتح: ١١/ ٥٣٢.
(٢) الفتح: ١١/ ٥٣٦.
(٣) أخرجه البخاري، رقم ١٦، ٢١، فتح: ١/ ٧٧، ٨٥، ومسلم: ١/ ٦٦، رقم ٤٣.
(٤) في الأصل أحب، ولعل الصواب ما أثبته.
(٥) المختار من كنوز السنة، ص ٣٤٤، ٣٤٥.

أقسام محبته ﷺ:

ذكر ابن رجب الحنبلي أن محبة الرسول ﷺ درجتين: «إحداهما: فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله، وتلقِّيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدىٰ من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلَّغه عن ربه، من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عمَّا نهىٰ عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته، وأخلاقه، وآدابه، ونوافله، وتطوعاته، وأكله وشربه، ولباسه، وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة»(١).

ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني عن بعض العلماء قوله: «محبة الله علىٰ قسمين: فرض وندب، فالفرض: المحبة التي تبعث علىٰ امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يُقدِّره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أوترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدَّم هوىٰ نفسه. والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها؛ فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم علىٰ المعصية، أو تستمر الغفلة فيقع.

وكذلك محبة الرسول ﷺ علىٰ قسمين كما تقدم، ويزداد: ألا يتلقىٰ شيئاً من المأمور والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضىٰ بما شرعه، حتىٰ لا يجد في نفسه حرجاً مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم

---

(١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، ص ٣٤، ٣٥.

والتواضع وغيرها»(١).

المراد بالتعظيم:

قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٨، ٩].

فذكر ـ تعالىٰ ـ: حقاً مشتركاً بينه وبين رسوله ﷺ وهو الإيمان، وحقاً خاصاً به ـ تعالىٰ ـ وهو التسبيح، وحقاً خاصاً بنبيه ﷺ وهو التعزير والتوقير.

وحاصل ما قيل في معناهما أن: «التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه. والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار»(٢).

وهذه المعاني هي المراد بلفظ التعظيم عند إطلاقه؛ فإن معناه في اللغة: التبجيل، يقال: «لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها»(٣)، ولفظ التعظيم وإن لم يرد في النصوص الشرعية، إلا أنه استعمل لتقريب المعنىٰ إلىٰ ذهن السامع بلفظ يؤدي المعنىٰ المراد من (التعزير والتوقير)(٤).

والتعظيم أعلىٰ منزلة من المحبة؛ لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظَّماً، كالولد يحبه والده محبة تدعوه إلىٰ تكريمه دون تعظيمه، بخلاف محبة الولد لأبيه؛ فإنها تدعوه إلىٰ تعظيمه(٥).

---

(١) فتح الباري: ١/ ٦١.
(٢) الصارم المسلول لابن تيمية، ص ٤٢٢.
(٣) لسان العرب، لابن منظور: ٤/ ٣٠٠٥.
(٤) انظر: حقوق النبي ﷺ علىٰ أمته، د. محمد التميمي: ٢/ ٤٢٢.
(٥) انظر: شعب الإيمان للبيهقي: ٢/ ١٩٣.

كيف نحقق محبة النبي ﷺ وتعظيمه؟

إن الأمر بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه يعني أن ذلك عبادة لله - عز وجل - وقربة إليه - سبحانه -. والعبادة التي أرادها الله - تعالىٰ - ويرضاها من العبد هي ما ابتُغي به وجهه - سبحانه -، وكان علىٰ الصفة التي شرعها في كتابه العظيم وعلىٰ لسان نبيه الكريم ﷺ.

فأما الإخلاص في الأعمال وابتغاء وجه الله - تعالىٰ - فيها فهو مقتضىٰ شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن معناها لا معبود بحق إلا الله - سبحانه وتعالىٰ -.

وأما متابعة النبي ﷺ فهي مقتضىٰ الشهادة بأن محمداً رسول الله، ولازم من لوازمها؛ إذ معنىٰ الشهادة له بأنه رسول الله حقاً: «طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهىٰ وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع»(١).

وهذا تمام المحبة، وكمال التعظيم، وغاية التوقير. وأيُّ تعظيم أو محبة للنبي ﷺ لدىٰ من شك في خبره، أو استنكف عن طاعته، أو ارتكب مخالفته، أو ابتدع في دينه وعبدَ الله من غير طريقه؟!

ولذا اشتد نكير الله - تعالىٰ - علىٰ من سلكوا في العبادة سبيلاً لم يشرعها، فقال: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [**الشورى**: ٢١]. وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٢)، أي مردود عليه.

فإذا كانت المحبة والتعظيم عبادة؛ فإن العبادة محلها القلب واللسان والجوارح.

ويتحقق تعظيم النبي ﷺ بالقلب بتقديم محبته علىٰ النفس والوالد والولد والناس أجمعين؛ إذ لا يتم الإيمان إلا بذلك، ثم إنه لا توقير ولا تعظيم بلا محبة.

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١/ ١٩٠.
(٢) رواه مسلم: ٢/ ١٣٤٢، رقم ١٧١٨.

وإنما يزرع هذه المحبة معرفة قدره ومحاسنه ﷺ(١).

وإذا استقرت تلك المحبة الصادقة في القلب كان لها لوازم هي في حقيقتها مظاهر للتعظيم ودلائل عليه، تظهر على اللسان والجوارح.

وسنرى منزلة النبي ﷺ عند المصطفين من هذه الأمة - رضي الله عنهم - من خلال أمثلة تنطق بالتعظيم وتشهد بالمحبة.

حال الصحابة في محبتهم للنبي ﷺ وتعظيمهم له في حياته:

نال الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - شرف لقاء النبي ﷺ، فكان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه مما سبقوا به غيرهم، ولم ولن يدركهم مَن بعدهم(٢).

فقد سئل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ»(٣).

وسأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك - زيد بن الدَّثِنة - رضي الله عنه - حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه - وقد كان أسيراً عندهم -: أنشدك بالله يا زيد: أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: «والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي»!

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً(٤).

---

(١) انظر: شعب الإيمان للبيهقي: ٢/ ١٣٣.

(٢) انظر مبحثاً جامعاً في: حقوق النبي على أمته، د. محمد التميمي: ٢/ ٤٤٧ - ٤٦١.

(٣) شرح الشفا: ٢/ ٤٠.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٤/ ٦٥.

وقال سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ للنبي ﷺ يوم بدر : «يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعد ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير»(١) .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : «لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حَيْصة ، قالوا : قُتل محمد ، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة ، فخرجت امرأة من الأنصار متَحزِّمة ، فاستُقبلت بابنها وأبيها وزوجها وأخيها(٢) ، لا أدري أيهم استقبلت به أولاً ، فلمَّا مرت على أحدهم قالت : من هذا؟ قالوا : أبوك ، أخوك ، زوجك ، ابنك! تقول : ما فعل رسول الله ﷺ؟! يقولون : أمامك ، حتى دفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذَتْ بناحية ثوبه ، ثم قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أُبالي إذ سلمتَ من عطب»(٣) . وفي رواية قالت : كل مصيبة بعدك جلل(٤) [أي : يسيرة وهينة] .

ولقد «حكَّم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم فقالوا : هذه أموالنا بين يديك ؛ فاحكم فيها بما شئت ، وهذه نفوسنا بين يديك ؛ لو استعرضت بنا البحر لخضناه ، نقاتل بين يديك ، ومن خلفك ، وعن يمنيك ، وعن شمالك»(٥) . وهذا أصدق تعبير عن المحبة .

---

(١) أورده ابن كثير في البداية : ٣/ ٢٦٨ .

(٢) أي أُخبرَتْ بمقتل أبيها ، وابنها ، وزوجها ، وأخيها .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط : ٨/ ٢٤٤ ، وهو في مجمع الزوائد ، للهيثمي : ٦/ ١١٥ ، وذكر أن رجاله ثقات إلا واحداً لم يعرفه . وانظر البداية والنهاية : ٤/ ٤٧ .

(٤) رواه ابن هشام في السيرة : ٣/ ٤٣ ، وعنه أورده ابن كثير في البداية والنهاية : ٤/ ٢٨٠ .

(٥) روضة المحبين ، ص ٢٧٧ ، وهو قول سعد بن معاذ في غزوة بدر ، كما ذكره أهل السير ، انظر : سيرة ابن هشام : ٢/ ١٨٨ ، وأصله في مسلم : ٢/ ١٤٠٣ ، رقم ١٧٧٩ .

كما كان شأنهم في تعظيمه وتوقيره أوضح وأظهر من أن يستدل عليه، وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروةُ بن مسعود الثقفي - رضي الله عنه - حين فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية، فلمَّا رجع إلىٰ قريش قال: «أي قومِ، والله لقد وفدت علىٰ الملوك ووفدت علىٰ قيصر وكسرىٰ والنجاشي، والله إنْ[1] رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخَّم نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون علىٰ وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون النظر إليه تعظيماً له»[2].

وقد وُصف الصحابة حال جلوسهم واستماعهم للنبي ﷺ بوصف عجيب جاء في أحاديث عدة، منها قول أبي سعيد الخدري: «وسكت الناس كأن علىٰ رؤوسهم الطير»[3].

وقال عمرو بن العاص - رضي الله عنه -: «وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عينيّ منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه»[4].

ولما زار أبو سفيان ابنته أم حبيبة - رضي الله عنها - في المدينة، ودخل عليها بيتها، ذهب ليجلس علىٰ فراش رسول الله؛ فطوته، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟ فقالت: «هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس؛ فلم أحب أن تجلس علىٰ فراشه»[5].

---

(١) قوله: «إنْ» معناها: (ما) النافية، أي: ما رأيت.
(٢) رواه البخاري: ٣/ ١٧٨، رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢، فتح: ٥/ ٣٨٨.
(٣) أخرجه البخاري: ٣/ ٢١٣-٢١٤، رقم ٢٨٤١، فتح: ٦/ ٥٧.
(٤) أخرجه مسلم: ١/ ١١٢، رقم ١٢١.
(٥) أورده ابن كثير في البداية والنهاية: ٤/ ٢٨٠، وابن حجر في الإصابة: ٤/ ٢٩٩، ٣٠٠.

ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه قول أنس بن مالك: «إن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافير»(١).

ولما نزل قول الله ـ تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ [**الحجرات**: ٢]، قال ابن الزبير: «فما كان عمر يُسمع النبي ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه»(٢)، وكان ثابت بن قيس جَهْوَرِي الصوت يرفع صوته عند النبي ﷺ، فجلس في بيته منكساً رأسه يرى أنه من أهل النار بسبب ذلك، حتى بشَّره النبي ﷺ بالجنة(٣).

دلائل محبته ﷺ ومظاهر تعظيمه:

أولاً: تقديم النبي ﷺ وتفضيله على كل أحد:

فضَّل الله ـ تعالى ـ نبيه محمداً ﷺ على جميع الخلق أولهم وآخرهم، فهو خاتم الأنبياء وإمامهم وسيدهم. قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم»(٤). وقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مُشفَّع»(٥).

ومما ينتج عن اعتقاد تفضيله: استشعار هيبته ﷺ وجلالة قدره وعظيم شأنه، واستحضار محاسنه ومكانته ومنزلته، «والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله، وكل ما

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب: ٢/ ٢٠١، رقم ١٥٣١، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١/ ٩٥.
(٢) أخرجه البخاري: ٦/ ٤٥، رقم ٤٨٤٥، فتح: ٨/ ٤٥٤.
(٣) انظر: البخاري: ٦/ ٤٥، رقم ٤٨٤٦، فتح: ٨/ ٤٥٥.
(٤) أخرجه مسلم: ٢/ ١٧٨٢، رقم ٢٢٧٦.
(٥) أخرجه مسلم: ٢/ ١٧٨٢، رقم ٢٢٧٨.

من شأنه أن يجعل القلب ذاكرًا لحقه من التوقير والتعزير، ومعترفاً به ومذعناً له؛ فالقلب ملك الأعضاء، وهي جند له وتبع، فمتى ما كان تعظيم النبي ﷺ مستقرًا في القلب مسطوراً فيه على تعاقب الأحوال فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتماً لا محالة. وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به، ومتبعة لشرعه وأوامره، ومؤدية لما له من الحق والتكريم»[١].

وقد ضلَّ في هذا الباب أصناف من الناس، منهم:

أ- الرافضة الغلاة الذين فضَّلوا أئمتهم - المعصومين بزعمهم! - على النبي ﷺ.

ب- الصوفية الباطنية الذين فضَّلوا الأولياء والأقطاب على النبي ﷺ.

وكلا الفعلين - والعياذ بالله - زندقة وكفر وإلحاد، ومخالفة للنصوص المتواترة وإجماع المسلمين.

ثانياً: سلوك الأدب معه ﷺ:

ويتحقق بالأمور التالية:

أ- الثناء عليه ﷺ بما هو أهله، وأبلغ ذلك ما أثنى عليه ربه - عز وجل - به، وما أثنى هو على نفسه به، وأفضل ذلك:

الصلاة والسلام عليه؛ لأمر الله - عز وجل - وتوكيده: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [**الأحزاب**: ٥٦]، قال ابن عباس: يُصلُّون: يبرِّكون[٢].

---

(١) حقوق النبي ﷺ على أمته، للتميمي: ٢/ ٤٧٠.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً به في كتاب التفسير: ٦ / ٢٧ . قال الخليل: (البركَة من الزيادة والنماء) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٢٣.

وهذا إخبار من الله ـ تعالىٰ ـ : «بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلىٰ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر ـ تعالىٰ ـ أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمين العلوي والسفلي جميعاً»(١)، وصلاة المؤمنين عليه هي الدعاء طلباً للمزيد من الثناء عليه(٢).

وفي الآية أمر بالصلاة عليه، والأمر يقتضي الوجوب؛ لهذا قال النبي ﷺ: «البخيل من ذُكِرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ»(٣). وقال: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ»(٤).

والصلاة عليه مشروعة في عبادات كثيرة كالتشهد، والخطبة، وصلاة الجنازة، وبعد الأذان، وعند الدعاء.. وغيرها من المواطن(٥).

وأفضل صيغها: ما علَّمه النبي ﷺ لأصحابه حين قالوا: «أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: «قولوا: اللهم صل علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»(٦).

وغير خافٍ ما في الصلاة عليه من الفوائد والثمرات من كونها سبباً لحصول الحسنات، ومحو السيئات، وإجابة الدعوات، وحصول الشفاعة، وصلاة الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣/ ٥٠٧، وانظر في تفسير الآية فصلاً مطولاً في جلاء الأفهام، ٢٥٣ـ٢٧٦.

(٢) انظر: التأدب مع الرسول ﷺ، حسن نور حسن: ١٩٧.

(٣) أخرجه الترمذي: ٥/ ٥٥١، رقم ٣٥٤٦، وأحمد: ١/ ٢٠١.

(٤) أخرجه أحمد: ٢/ ٢٥٤، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢٢، رقم ٢١، والترمذي: ٥/ ٥٥٠، رقم ٣٥٤٥.

(٥) وقد أوصلها ابن القيم إلىٰ واحد وأربعين موطناً، انظر جلاء الأفهام: ٤٦٣ـ٦١١.

(٦) أخرجه البخاري: ٦/ ٢٧، رقم ٤٧٩٧، الفتح: ٨/ ٣٩٢.

على العبد، ودوام محبة النبي ﷺ وزيادتها، والنجاة من البخل. . .(١).

ب ـ **الإكثار من ذكره**، والتشوق لرؤيته، و«تعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته، وتعريف الناس بسنَّته وتعليمهم إياها، وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه، وذكر صفاته وأخلاقه وخلاله، وما كان من أمور دعوته وسيرته وغزواته، والتمدح بذلك شعراً ونثراً»(٢). فإن العبد ـ كما قال ابن القيم ـ: «كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه؛ تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه. وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقرّ لعين العبد المحب من رؤية محبوبه، ولا أقرّ لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه»(٣).

ج ـ **التأدب عند ذكره** ﷺ بأن لا يُذكر باسمه مجرداً، بل يوصف بالنبوة أو الرسالة، وهذا كما كان أدباً للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في ندائه فهو أدب لهم ولغيرهم عند ذكره، فلا يقال: محمد، ولكن: نبي الله، أو الرسول، ونحو ذلك.

تلك خصيصة للنبي ﷺ في خطاب الله ـ تعالى ـ له في كتابه الكريم دون إخوانه من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فلم يخاطبه ـ تعالى ـ قط باسمه مجرداً، وحين قال: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ**﴾ [**الأحزاب**: ٤٠] قال بعدها: ﴿**وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾.

يجيء التوجيه إلى هذا الأدب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**﴾ [**النور**: ٦٣](٤).

---

(١) ذكر ابن القيم لها ثلاثاً وثلاثين فائدة، انظر جلاء الأفهام: ٦١٢ ـ ٦٢٧.

(٢) حقوق النبي ﷺ على أمته، للتميمي: ٢/ ٤٧٢.

(٣) جلاء الأفهام، ص ٢٦٥.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٠٦، وجلاء الأفهام، ص ٦٤١، والصارم المسلول، ص ٤٢٢.

د ـ الأدب في مسجده، وكذا عند قبره، وترك اللغط ورفع الصوت، ولذا أنكر عمر ـ رضي الله عنه ـ على من رفع صوته فيه.

عن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فقال: «اذهب فائتني بهذين»، فجئته بهما، قال: من أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. قال: «لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟!»(١).

هـ ـ حفظ حرمة بلده المدينة النبوية؛ فإنها مهاجره، ودار نصرته، وبلد أنصاره، ومحل إقامة دينه، ومدفنه، وفيها مسجده خير المساجد بعد المسجد الحرام.

«والمقصود من تعظيم المدينة هو تعظيم حَرَمها، وهذا أمر واجب في حق من سكن بها أو دخل فيها، مع ما يجب على ساكنيها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها؛ وذلك لما لها من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله ﷺ»(٢). فيتأكد فيها العمل الصالح، وتزداد فيها السيئة قبحاً؛ لشرف المكان.

و ـ توقير حديثه، والتأدب عند سماعه، والوقار عند دراسته. وقد كان لسلف الأمة وعلمائها عموماً والمحدثين خصوصاً منهج رصين ورصيد ثريٌّ في إجلال حديث رسول الله ﷺ، وتوقير مجلس الحديث، والتحفُّز لاستباق العمل به؛ تعظيماً له.

وهذه بعض الشواهد:

حدَّث عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فكان مما قال: وما سمعته قط يقول: قال رسول الله ﷺ إلا مرة، فنظرت إليه وقد حل إزاره وانتفخت أوداجه، واغرورقت عيناه، فقال: «أو نحو ذلك، أو دون، أو

(١) رواه البخاري: ١/ ١٢٠، رقم ٤٧٠، فتح: ١/ ٦٦٧.
(٢) حقوق النبي ﷺ: ٢/ ٤٩٣.

قريبًا من ذلك، أو شبه ذلك»[١].

وجاء عن عِدَّة من الأئمة أنهم كانوا لا يُحدِّثون بحديث رسول الله ﷺ إلا على وضوء، منهم: قتادة، وجعفر بن محمد، ومالك بن أنس، والأعمش؛ بل قد صار ذلك مستحباً عندهم، وكرهوا خلافه. قال ضرار بن مرة: «كانوا يكرهون أن يُحدِّثوا عن رسول الله ﷺ وهم على غير وضوء». قال إسحاق: «فرأيت الأعمش إذا أراد أن يتحدث وهو على غير وضوء تيمم»[٢].

وقال أبو سلمة الخزاعي: «كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يُحدِّث؛ توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوة، ومشط لحيته! فقيل له في ذلك، فقال: أوقِّر به حديث رسول الله ﷺ»[٣].

وقال ابن أبي الزناد: كان سعيد بن المسيب - وهو مريض - يقول: «أقعدوني؛ فإني أعظم أن أُحدِّث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع»[٤].

ومرّ مالك بن أنس على أبي حازم - وهو يُحدِّث - فجازه، وقال: «إني لم أجد موضعاً أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم»[٥].

و«كان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك، فإذا جاء الحديث خشع»[٦].

قال حماد بن سلمة: «كنا عند أيوب نسمع لغطاً! فقال: ما هذا اللغط؟! أما بلغهم أن رفع الصوت عند الحديث عن رسول الله ﷺ كرفع الصوت عليه في

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٢/ ٦٦، ٦٧، وانظر شرح الشفا: ٢/ ٧٤.

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: ٢/ ١٢١٧، شرح الشفا: ٢/ ٧٧.

(٣) الجامع للخطيب البغدادي: ٢/ ٣٤، وانظر شرح الشفا: ٢/ ٧٧.

(٤) الجامع للخطيب: ٢/ ٤٥، وجامع بيان العلم: ٢/ ١٢٢٠.

(٥) الجامع للخطيب: ٢/ ٥٣.

(٦) الجامع للخطيب: ٢ / ٥٧.

حياته؟!» وقال أحمد بن سليمان القطان: و «كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه، ولا يُبرئ فيه قلم، ولا يبتسم أحد؛ فإن تُحدث أو بُري قلم.. صاح ولبس نعليه ودخل! وكذا كان يفعل ابن نمير، وكان من أشد الناس في هذا، وكان وكيع أيضاً في مجلسه كأنهم في صلاة، فإن أنكر من أَمْرهم شيئاً انتعل ودخل، وكان ابن نمير يغضب ويصيح، وكان إذا رأى من يبري قلماً تغير وجهه» (١).

ثالثاً: تصديقه فيما أخبر:

من أصول الإيمان وركائزه الرئيسة، الإيمان بعصمة النبي ﷺ من الكذب أو البهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي أوالحاضر أو المستقبل، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [**النجم**: ١ – ٤].

والجفاء كل الجفاء، بل الكفر كل الكفر اتهامه وتكذيبه فيما أخبر، ولهذا ذم الله المشركين بقوله: ﴿ **وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾ [**يونس**: ٣٧ – ٣٩].

قال الإمام ابن القيم: «فرأس الأدب مع الرسول ﷺ: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يُحمله معارضة بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يُحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحِّده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحَّد

(١) الجامع للخطيب: ١/ ١٢٨، ١٣٠.

المرسلَ - سبحانه وتعالىٰ - بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل»(١).

وانظر إلىٰ المنزلة العالية الرفيعة التي حازها أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - الذي آمن بالنبي ﷺ حقَّ الإيمان؛ فصدَّقه حق التصديق؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لما أسري بالنبي ﷺ إلىٰ المسجد الأقصىٰ، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلىٰ أبي بكر - رضي الله عنه -، فقال: هل لك إلىٰ صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس؟ قال: أوَ قال ذلك؟ قال: نعم! قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلىٰ بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم! إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق»(٢).

ومن لطائف هذا الباب التي تدل علىٰ منزلة الشيخين الجليلة، أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتىٰ استنقذها، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟! وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه، فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خُلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! قال النبي ﷺ: «فإني أومن بذلك وأبوبكر وعمر بن الخطاب»(٣).

رابعاً: اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه:

الأصل في أفعال النبي ﷺ وأقواله أنها للاتباع والتأسي، قال الله - تعالىٰ -: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [**الأحزاب**: ٢١].

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٣٨٧.

(٢) أخرجه الحاكم: ٣/ ٦٢، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني لشواهده في السلسلة الصحيحة، رقم ٣٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: ٤/ ٢٠٠، ١٩٢، ١٤٩، رقم ٣٦٩٠، ٣٦٦٣، ٣٤٧١، فتح: ٦/ ٥٩٢.

قال ابن كثير: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وأحواله، ولهذا أمر الله - تبارك وتعالىٰ - الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل»(١).

وجاء أمر الله - سبحانه وتعالىٰ - في وجوب طاعة الرسول ﷺ في آيات كثيرة، منها قوله - تعالىٰ -: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ [النساء: ٨٠].

وأمر بالرد عند التنازع إلىٰ الله والرسول، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء: ٥٩].

وتواترت النصوص النبوية في الحث علىٰ اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه والاستنان بسُنَّته، وتعظيم أمره ونهيه، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»(٢).

وقوله ﷺ: «لتأخذوا عني مناسككم»(٣).

وقوله ﷺ: «فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(٤)، قال الإمام الخطابي: «إنما أراد بذلك الجد في لزوم السنَّة، فِعْل من أمسك الشيء بين أضراسه، وعضَّ عليه منعاً له أن ينتزع، وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشيء، إذ كان ما يمسكه بمقاديم فمه أقرب تناولاً وأسهل انتزاعاً»(٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: ١/ ١٥٥، رقم ٦٣١، فتح: ٢/ ١٣٢.

(٣) أخرجه مسلم: ١/ ٩٤٣، رقم ١٢٩٧.

(٤) أخرجه أحمد: ٤/ ١٢٦، ١٢٧، وأبو داود: ١٣ - ١٥، والترمذي، وابن ماجه: ١/ ١٦.

(٥) معالم السنن، بحاشية مختصر سنن أبي داود: ٧/ ١٢.

فطاعة الرسول ﷺ هي المثال الحي الصادق لمحبته عليه الصلاة والسلام، فكلما ازداد الحب، زادت الطاعات، ولهذا قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[**آل عمران**: ٣١].

فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصي الإله وأنت تزعم حبَّه ... ذاك لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعتَه ... إن المحبَّ لمن أحب مطيع

خامساً: التحاكم إلى سنَّة النبي ﷺ:

إن التحاكم إلى سنَّة النبي ﷺ أصل من أصول المحبة والاتباع؛ فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويُسلِّم تسليماً، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [**النساء**: ٦٥].

وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا**﴾

[**الأحزاب**: ٣٦].

وقد بيَّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن من علامات الزيغ والنفاق: الإعراض عن سنَّته، وترك التحاكم إليها، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا**﴾ [**النساء**: ٦٠، ٦١].

قال ابن تيمية: «فكل من خرج عن سنَّة رسول الله ﷺ وشريعته؛ فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن، حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين أو الدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه»(١).

---

(١) مجموع الفتاوى: ٥٨/ ٤٧١.

وقال ابن القيم: «فجعل الإعراض عما جاء به الرسول، والالتفاف إلىٰ غيره هو حقيقة النفاق، كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه، والتسليم لما حكم رضىٰ واختياراً ومحبة، فهذا حقيقة الإيمان، وذلك الإعراض حقيقة النفاق»(١).

سادساً: الذبُّ عنه:

إن الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرته، آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [**الحشر**: ٨].

ولقد سطر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذبِّ عن رسول الله ﷺ، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، وكُتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل علىٰ غاية المحبة والإيثار والتعظيم.

ومن ذلك أن أبا طلحة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ كان يحمي الرسول ﷺ في غزوة أحد، ويرمي بين يديه، ويقول: «بأبي أنت وأمي، لا تشرف، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»(٢).

وعن قيس بن أبي حازم قال: «رأيت يد طلحة شلاء، وقىٰ بها النبي ﷺ يوم أحد»(٣).

وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يوم أحد لما انكشف المسلمون: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني

(١) مختصر الصواعق المرسلة: ٢/ ٣٥٣.
(٢) أخرجه البخاري: ٥/ ٣٣، رقم ٤٠٦٤، فتح: ٧/ ٤١٨.
(٣) أخرجه البخاري: ٥/ ٣٣، رقم ٤٠٦٣، فتح: ٧/ ٤١٦.

المشركين ـ، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة وربِّ النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه»(١).

والذبُّ عن النبي ﷺ يقتضي أموراً، منها:

(١) الذبُّ عن أصحابه رضي الله عنهم:

أجمعت الأمة على أن جميع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ثقات ذوو عدل، وأنهم أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ، وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة في بيان ذلك، ومنها:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [**الفتح**: ١٨].

وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [**الفتح**: ٢٩].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»(٢).

وحقوق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كثيرة جداً، ومنها:

---

(١) أخرجه البخاري: ٣/ ٣٠٥، ٥/ ٣١، رقم ٢٨٠٥، ٤٠٤٨، الفتح: ٦/ ٢٦، ٧/ ٤١١.
(٢) رواه مسلم: ٢/ ١٩٦٨، رقم ٢٥٤١.

أ ـ محبتهم والترضي عنهم:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

ب ـ الاهتداء بهديهم والاقتداء بسنتهم:

قال رسول الله ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ»(١).

ولكن المبتدعة انحرفوا في حق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولم يعرفوا لهم فضلهم وسابقتهم، بل قدحوا فيهم، وقلَّلوا من شأنهم، بل إن غلاة المبتدعة اتهموهم بالكذب والنفاق والخيانة، ولهذا قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أُمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبُّوهم»(٢).

والقدح في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قدح في النبي ﷺ؛ فهم خاصته وبطانته، ولهذا قال الإمام مالك وغيره: «إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»(٣).

وقال ابن تيمية: «وأما الرافضة فيطعنون في الصحابة، وباطن أمرهم الطعن في الرسالة»(٤).

(١) أخرجه أحمد: ٤/ ١٢٦، ١٢٧، وأبوداود، رقم٧٠٤٦، والترمذي، رقم ٢٦٧٦، وابن ماجه، رقم٤٣. وإسناده صحيح.
(٢) رواه مسلم في التفسير: ٣/ ٢٣١٧، رقم ٣٠٢٢.
(٣) منهاج السنة: ٧/ ٤٥٩.
(٤) المرجع السابق: ٣/ ٤٦٣.

(٢) الذبُّ عن زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن :

من الذبِّ عن النبي ﷺ : الذبُّ عن عِرضه وعِرض زوجاته الطاهرات المطهرات ـ رضي الله عنهن ـ، وخاصة أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ التي برأها الله ـ عز وجل ـ من فوق سبع سموات في آيات تتلىٰ إلىٰ قيام الساعة . قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾ إلىٰ أن قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ١١ – ١٧] .

قال الإمام مالك: «من سبَّ أبا بكر جلد، ومن سبَّ عائشة قتل»، قيل له: لم؟ قال: «من رماها فقد خالف القرآن»[١] .

وقال ابن كثير: «وقد أجمع العلماء ـ رحمهم الله ـ قاطبة علىٰ أن من سبَّها بعد هذا الذي ذكره في هذه الآية فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن»[٢] .

والوقيعة في زوجات النبي ﷺ واتهامهن بالباطل من أعظم الإيذاء للنبي ﷺ ولهذا قال القرطبي في تفسير قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا**﴾ : «يعني في عائشة، لأنَّ مثله لا يكون إلا نظير القول في المقول عنه بعينه، أو فيمن كان في مرتبته من أزواج النبي ﷺ ، لما في ذلك من أذية رسول الله ﷺ في عرضه وأهله، وذلك كفر من فاعله»[٣] .

---

(١) الصارم المسلول، ص ٥٧١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٧٦ .

(٣) تفسير القرطبي: ١٢/ ٥٢ .

سابعاً: الذبُّ عن سنَّته:

ومن الذبِّ عن سنَّته ﷺ حفظها وتنقيحها، وحمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين في سنَّته، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم، وقد دعا رسول الله ﷺ بالنضارة لمن حمل هذا اللواء بقوله: «نضَّر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمعه، فرب مُبلَّغ أوعىٰ من سامع»(١).

ومن الذبِّ عن سنته أيضاً: الرد علىٰ شبهات المستهزئين بما ثبت من هديه في القول أو الفعل أو الاعتقاد، كاستهزاء بعضهم بالحجاب، أو باللحية، أو برفع الإزار فوق الكعبين، أو بالسواك، ونحوها. والاستهزاء بالسنة الصحيحة الثابتة كفر يخرج من الملَّة، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [**التوبة**: ٦٥، ٦٦].

والتهاون في الذبِّ عن رسول الله ﷺ وشريعته من الخذلان الذي يدل علىٰ ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعىٰ الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة علىٰ حرمته وعرضه وسنَّته، فهو كاذب في دعواه. وقد كان لأئمة الحديث القدح المعلىٰ في تنقيح السنَّة، وتمييز الطيب من الخبيث، وفحص الرواة ومعرفة أحوالهم، وما أحسن ما قاله أبو بكر ابن خلاد في بيان حرص السلف الصالح علىٰ الذبِّ عن السنَّة النبوية، حيث قال: «دخلت علىٰ يحيىٰ بن سعيد في مرضه، فقال لي: يا أبا بكر، ما تركت أهل البصرة يتكلمون؟ قلت: يذكرون خيراً، إلا أنهم يخافون عليك من كلامك في الناس! فقال: احفظ عني، لأن يكون خصمي في الآخرة رجل من عرض الناس أحب إلي من أن يكون خصمي

(١) أخرجه أحمد: ١/ ٤٣٧، والترمذي: ٥/ ٣٤، وابن ماجه: ١/ ٨٥.

في الآخرة النبي ﷺ، يقول: بلغك عني حديث وقع في وهمك أنه عني غير صحيح - يعني فلم تنكر - »[١].

قال محمد بن المرتضي اليماني: «المحامي عن السنَّة الذابُّ عن حماها كالمجاهد في سبيل الله - تعالىٰ -، يعد للجهاد ما استطاع من الآلات والعدة والقوة، كما قال الله - سبحانه -: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [**الأنفال**: ٦٠]، وقد ثبت في الصحيح أن جبريل (عليه السلام) كان مع حسان بن ثابت يؤيده ما نافح عن رسول الله ﷺ في أشعاره، فكذلك من ذبَّ عن دينه وسنَّته من بعده إيماناً به، وحباً ونصحاً له»[٢].

ثامناً: نشر سنته ﷺ:

من تمام محبة النبي ﷺ وتعظيمه: الحرص علىٰ نشر السنَّة وتبليغها، وقد ثبت عنه أنه قال في أحاديث كثيرة: «فليبلغ الشاهد الغائب»[٣]، وقال: «بلغوا عني ولو آية»[٤]، وعن أبي موسىٰ الأشعري عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الأرض فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به»[٥].

---

(١) انظر: منهج النقد عند المحدثين، ص ٧.

(٢) إيثار الحق علىٰ الخلق، ص ٢٠.

(٣) أخرجه البخاري: ٢/ ١٩١، رقم ١٧٣٩، الفتح: ٣/ ٦٧٠، ومسلم: ٢/ ١٣٠٣، رقم ١٦٧٩.

(٤) أخرجه البخاري: ٣/ ١٤٥، رقم ٣٤٦١، الفتح: ٦/ ٥٧٢.

(٥) أخرجه البخاري: ١/ ٢٨، رقم ٧٩، فتح: ١/ ٢١١، ومسلم: ٢/ ١٧٨٧، رقم ٢٢٨٢.

فامتدح ﷺ من كان له قلب حافظ للعلم فنشره بين الناس فانتفعوا به، وهذه هي المرتبة الثانية ـ المشار إليها في الحديث ـ، فأما من أوتي فهماً ثاقباً مع حفظه للعلم فانتفع أولاً ونفع ثانياً فهو لا شك أكمل وأفضل، وهذه هي المرتبة الأولى.

والحرص على نشر السنَّة وتبليغها وتعليمها للناس باب عظيم من أبواب محبة النبي ﷺ وتعظيمه؛ لأن في ذلك سعي لإعلاء سنَّته، ونشر هديه بين الناس. ومن مقتضيات ذلك: الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه، ولا شك بأن الابتداع في دينه من خوارم المحبة الصادقة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[(١)].

ومن تلبيس الشيطان على بعض الجهلة وأهل الأهواء أنهم يزعمون أن الابتداع في دين النبي ﷺ من تمام المحبة له، وهذا جهل عظيم، فالمحبة تقتضي التسليم للمحبوب، وتتبع آثاره، والوقوف عند أمره ونهيه، والحرص على عدم النقص أو الزيادة في دينه.

ولهذا تجد أن المبتدع لا يحب نشر السنَّة النبوية، ويسعى لكتمانها، قال ابن تيمية: «من المعلوم أنه لا تجد أحداً ممن يرد نصوص الكتاب والسنَّة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله، ويَودُّ أن تلك الآية لم تكن نزلت، وأن ذلك الحديث لم يَرِد، ولو أمكنه كشط الحديث من قلبه. وقيل عن بعض رؤوس الجهمية ـ إما بشر المريسي أو غيره ـ: أنه قال: ليس شيء أنقص لقولنا من القرآن، فأقِروا به في الظاهر، ثم حرِّفوه بالتأويل. ويقال إنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل.

---

(١) أخرجه البخاري: ٣/ ١٦٧، رقم ٢٦٩٧، الفتح: ٥/ ٣٥٥.

ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية، بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه، خلافاً لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه»[٢].

تلك أمارات حبِّ النبي ﷺ وتعظيمه، تُقاس بها درجة التعظيم، وتُفحص بها حرارة المحبة، نسأل الله أن يعيننا وإخواننا المسلمين أجمعين على التزامها ما حيينا.

(٢) منهاج السنة النبوية: ٥/ ٢١٧، ٢١٨.

الخاتمـــة

وبعد: فقد ظهر لك ـ أخي القارئ ـ شيء من حقوق نبيك وحبيبك ﷺ، وعرفت سبيل تحقيق المحبة والتعظيم، وأنه لا يكون إلا بإقامة الدليل والبرهان على ذلك، من معرفة فضله وقدره وتقديمه على كل أحد، وسلوك كمال الأدب معه، وتصديقه في خبره، وتحقيق اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه، واقتفاء سنَّته، والتحاكم إلى شريعته، والذب عنه وعن سنَّته وصحابته وآل بيته.

يشهد بذلك كتاب ربنا ـ عز وجل ـ وسنَّة نبينا الحبيب ﷺ، بفهم سلف هذه الأمة المهديين وأئمتها الربانيين؛ فطريقهم أهدى، وهديهم أولى، وقد رأيت الشواهد من حياتهم ماثلة ناطقة بما يجب عليك اقتفاؤه، إن أردت دخول الجنة والنجاة من النار.

فتأمل الأمر، ودقق النظر بما أعطاك الله من البصيرة، وسل ربك الهداية والسداد في الصراط المستقيم(١)، ولا يغرنك كثرة المخالفين اليوم لذلك الطريق؛ فالحق لا يعرف بالكثرة ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [**يوسف**: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [**الأنعام**: ١١٦]، و«الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك»(٢)، ولا عجب من كثرة المخالفين فـ «ليس العجب

---

(١) في كل ركعة ندعو «**اهدانا الصراط المستقيم**»، وهي شاملة للهداية إلى الصراط والهداية في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام. والهداية في الصراط: الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً، (انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٢).

(٢) تهذيب الكمال، للمزي، ٢٢/ ٢٦٤، الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة، ص ٢٢، والقائل هو عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا»[١].

هدانا الله وإياك سبل الهدى والرشاد، وجنبنا طريق الزلل والزيغ والفساد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم النبيين وإمام المهتدين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مدارج السالكين، ٣/ ١٣٠.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

لائحة مفصلة بإصدارات مجلة البيان

م	عنوان الكتاب	ثمن النسخة بالدرهم
١	الالتزام بالإسلام مراحل وعقبات	٤
٢	الطب النفسي في ضوء الكتاب والسنة	٧
٣	الدعوة إلى الله	٤
٤	مداخل الشيطان على الصالحين	٤
٥	الهزيمة النفسية	٧
٦	فاعتبروا يا أولي الأبصار	٤
٧	الحزن والاكتئاب	٧
٨	فن التعامل مع الناس	٧
٩	واجب المسلم عند الفتن	٧
١٠	أيعيد التاريخ نفسه	٢٥
١١	خواطر في الدعوة	٢٠
١٢	الثوابت والمتغيرات في العمل الإسلامي	٣٥
١٣	اعتقاد أهل السنة في الصحابة	٢٠
١٤	المدارس والكتاتيب القرآنية	٢٥
١٥	التجديد في الإسلام	١٢
١٦	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آدبه وضوابطه	٣٣
١٧	المعين على فهم الجزء ٣٠	٣٠
١٨	تدبر القرآن الكريم	٢٥
١٩	الفيزياء ووجود الخالق	٣٠
٢٠	في البناء الدعوي	٢٥
٢١	منظم الذاكرة ١٤٢٦	٨
٢٢	مفكرة البيان عادي ١٤٢٦	٣٥
٢٣	الإسلام لعصرنا	٢٠
٢٤	رؤية إسلامية للاستشراق	٣٠
٢٥	نحو أداء متميز لحلقات القرآن	١٧
٢٦	منهج التلقي الاستدلال	٢٠
٢٧	حمى سنة ٢٠٠٠	٣٠
٢٨	دمعة على التوحيد	١٥
٢٩	قبل الكارثة نذير نفير	٣٠
٣٠	الموسوعة الإلكترونية الثالثة	٦٥
٣١	نحو منهج شرعي لتلقي الأخبار	٢٠
٣٢	تأملات في العمل الإسلامي	٢٠
٣٣	معلم في تربية النفس	١٥
٣٤	كيف تنمي أموالك	٨

م	عنوان الكتاب	ثمن النسخة بالدرهم
٣٥	أحوال النبي ﷺ في الحج	١٢
٣٦	حقوق النبي ﷺ	٢٦
٣٧	الدور التربوي الجزء الأول	٣٣
٣٨	الدور التربوي الجزء الثاني	٣٣
٣٩	لمحات في التفكير الإبداعي	١٦
٤٠	نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية	٢٠
٤١	وذكرهم بأيام الله	١٥
٤٢	رؤية للقضية الفلسطينية	١٠
٤٣	الإتباع الجزء الأول	٣٥
٤٤	الإتباع الجزء الثاني	٣٥
٤٥	سورة الصلاة	١٥
٤٦	الضعف المعنوي	٣٢
٤٧	بناء الأجيال	٣٠
٤٨	تحديات في عالم متغير	٦٥
٤٩	القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب	٥٠
٥٠	قاعدة الانطلاق وقارب النجاة	١٥
٥١	منهج أهل السنة والجماعة في الرد على المخالفين	١٥
٥٢	معالم في أصول الدعوة	٣٠
٥٣	عقيدة اليهود	٣٢
٥٤	المرأة المسلمة	١٥
٥٥	تجربة المنتدى الإسلامي	٢٠
٥٦	المنازلة	٢٥
٥٧	موسوعة المنار	٦٥
٥٨	الافتقار إلى الله	٥
٥٩	روح الصيام	٢٠
٦٠	تجديد الخطاب الديني	٣٠
٦١	السقوط ـ مجموعة مسرحية	١٠
٦٢	أعياد الكفار وموقف المسلم منها	٢٢
٦٣	العدوان على المرأة	٣٥
٦٤	العولمة مقاومة واستثمار	١٠
٦٥	العالم في عام	١٥
٦٦	الانتفاضة والتتار الجديد	١٥
٦٧	اعترافات علماء الاجتماع	٣٥
٦٨	ضـــــــحـــــــايـا بـريـئـــــــة	٤٠

مندوب المجلة في المغرب: محمد أفزاز- جوال ٠٦١٤٤٤٤٨٥ أو ٠٦٧٨٣٢١١٥

Marwafz@yahoo.fr